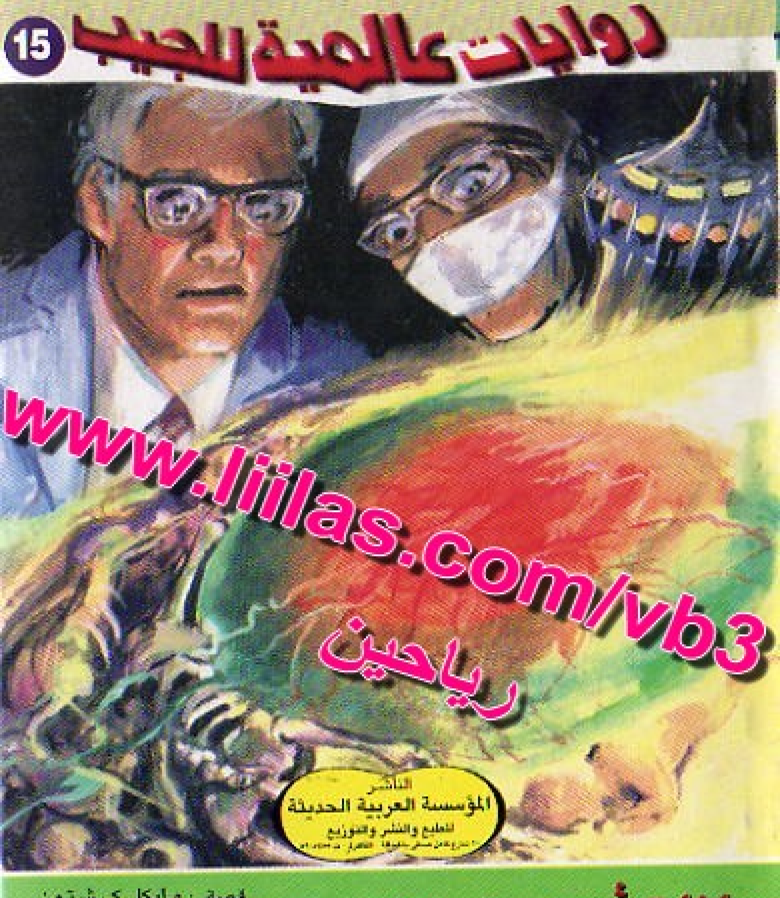


قصة : مايكل كرشتون
ترجمة وعرض :
د. أحمد خالد توفيق

سلالة أندروميدا

روايات عالمية للجيب

مكتبة متكاملة
لأشهر الروايات العالمية



سلالة أندروميدا

نحن في ورطة حقيقية .. أول أزمة بيولوجية في التاريخ .. إن الخلية (أندروميدا) قد جاءت من الفضاء الخارجي؛ لتنشر الذعر والوباء في الأرض ... تعالوا ياسادة إلى معمل (وايلدفاير) المتقدم .. ولنحاول معًا استعمال عقولنا الأرضية لفك هذا اللغز الرهيب ..

15

المــؤلف ..

ليست هذه هى المرة الأولى التى نذكر فيها اسم (مايكل كرشتون) ، فقد قابلناه من قبل مخرجًا لقصة (الغيبوبة) .. واليوم نلقاه مؤلفًا متميزًا لقصص الخيال العلمى ، التى تفوح منها رائحة الطب ..

ولا عجب هنالك .. فنحن نعرف أن (مايكل كرشتون) طبيب قبل أن يصير مؤلفًا أو مخرجًا .

ولد (مايكل كرشتون) فى (شيكاغو) عام ١٩٤٢ ، وتخرج فى مدرسة (هارفارد) الطبية ، ثم صار زميلًا لما بعد الدكتوراه فى معهد (سالك) فى (لاجولا) بكاليفورنيا عام ١٩٦٩ ..

لاندرى متى ولا كيف بدأ يهتم بالفن .. لكنه قدم عددًا لا بأس به من قصص الخيال العلمى ، نذكر منها :

ـ رجل الأطراف الكهربية .

ـ سرقة القطار الكبرى .

ـ أكلة الموتى .

ـ الكونغو .

ـ الكرة .

ـ حديقة العصر (الجوراسى) .

ونحن نذكر جيدًا القصة الأخيرة التى أخرجها (سبايلبرج) فى فيلم الدنياصورات الشهير ، الذى هز شباك الإيرادات فى العالم كله .

أما قصص (كرشتون) البعيدة عن عالم الخيال العلمى فهى :

ـ خمسة مرضى .

ـ حياة كهربية .

ـ رحـلات .

ـ وفى مجال الإخراج السينمائى قدم لنا هذا الفنان المتميز :

ـ العالم الغربى .

ـ الغيبوبة .

ـ سرقة القطار الكبرى (عن قصته هو نفسه) .

والآن هو كاتب زائر فى معهد (ماساتشوستس) للعلوم التقنية ..

والقصة الحالية كتبها (كرشتون) عام ١٩٦٩ ، وكالعادة تلقفتها السينما الأمريكية لتقدمها فى فيلم من إخراج (روبرت وايز) .

وكما يقول محرر مجلة (لايف) عن هذه القصة :

ـ « إن الخيال العلمى الذى كان فى الماضى مريعًا ، لأنه كان بعيدًا جدًا ، صار اليوم مريعًا لأنه صار قريبًا جدًا . إن قصة (سلالة أندروميدا) هى نوع من رسوم الجمجمة على زجاجات الدواء ، وتحدث نفس القشعريرة فى البدن .. » .

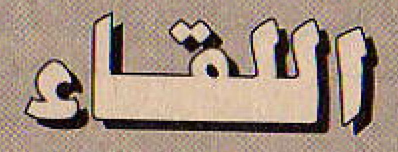
ولسوف تجد فى القصة الكثير من التوثيق ، والإشارة إلى أسماء واقعية من العاملين فى (ناسا) ، بل إن نهاية الطبعة الإنجليزية زاخرة بأسماء المراجع العلمية ، وكأنها رسالة دكتوراه حقيقية ، حتى أنك تجد نفسك غير قادر على تحديد متى تبدأ الحقيقة ومتى تنتهى ..

وهذا هو طابع (كرشتون) فى كل كتاباته ..

على أننا سنفهم عالم (كرشتون) أكثر ، لو بدأنا نطالع هذه الرواية المشوقة ، ذات الطابع غير المألوف .

د. أحمد خالد توفيق

اليوم الأول



١ ـ بلد الحدود المفقودة ..

رجل يمسك بمنظار مقرّب .. هكذا بدأ كل شيء ..

الرجل يقف على جانب الطريق فى ليلة شتاء ، جوار مدينة صغيرة من مدن (أريزونا) .. اسمه الملازم (روجرشون) .. لابد أنه وجد الإمساك بالمنظار المقرب عسيرًا مع القفازين السميكين اللذين كانا فى يده .. وأحدث بخار الماء عتامة على العدستين .

كل هذا كان غير ذى جدوى .. فلم يكن المنظار قادرًا على كشف أسرار هذا البلد الغامض ، لكن مشهد (شون) الواقف فوق صخرة جلمود ، يحاول تثبيت المنظار فوق أنفه ؛ كان هذا المشهد يتألق بشيء حزين .. شيء يثير الشفقة فى النفس ..

لابد أن المنظار المقرب كان يشعره بالألفة .. على الأقل هى آخر شيء مألوف سيراه قبل موته .

وهكذا يمكننا أن نتخيل ـ ونعيد تركيب ـ ما حدث بعد ذلك ..

لقد تفحص الملازم (شون) البلده بمنظارة .. هى

مجرد بلدة صغيرة لا تزيد مبانيها على ستة كلها تحتشد حول الشارع الوحيد بها .. والهدوء يعم المكـــان ، فلا أضواء .. ولا صخب ..

ومن بعيد يرى امتداد صحراء (موجافى) الرهيبة .. التى كان الهنود الحمر يسمونها (بلد الحدود المفقودة) .

وشعر الملازم بالبرد يمزق أعصابه .. فالشهر هو فبراير ، والساعة هى العاشرة مساء .. عبر الطريق إلى السيارة (الفورد) الواقفة ، بينما محركها يهدر ببطء .. دلف إلى الباب الخلفى ودخل ، ثم أغلقه وراءه ..

وفى الداخل جلس فنى الكهرباء (لويس كرين) منكبًا على خارطة ، ما بين الأجهزة الإلكترونية العديدة التى أشاعت ضوءًا أحمر دمويًا على المكان كله ..

كلا الرجلين - (شون) و (كرين) - كان منهكًا بعد رحلة شاقة قطعها من (فاندنبرج) إلى هنا .. وكانت مهمتهما هى استعادة القذيفة المكوكية التى هبطت مؤخرًا ها هنا .

ولم يكن الرجلان يفقهان شيئًا عن القذائف المكوكية ، سوى أنها نوع من الكبسولات ، التى ترسل لتحلل الفضاء الخارجى ثم تعود ..

ولتسهيل عملية العثور على هذه الكبسولات ؛ كانت

القذيفة ترسل أزيزًا إلكترونيًا ، بمجرد أن تصير على ارتفاع خمسة أميال ..

لهـــذا كانت هذه العربـــة مزودة بوسائل التتبـــع الإلكترونى ، التى تعمل بكفاءة برغم بطئها .. فما على راكبيها سوى تحديد اتجاه الأزيز ، ثم يتحركون نحوه مسافة خمسة أميال .. ثم يتوقفون ويعيدون حساب الإحداثيات .. وشيئًا فشيئًا يدنون من القذيفة ..

هذه المرة احتاج اقتفاء الأثر إلى ست ساعات كاملة .. لكنهم قد وصلوا تقريبًا إلى هدفهم .. واسم المكان على الخارطة هو (بيد مونت) بولاية (أريزونا) .. تعدادها - واكتم ضحكاتك - هو ثمانية وأربعون نسمة .. ومن الغريب أن الأزيز كان قادمًا من وسط المدينة بالضبط ..

الغريب فى هذا ، أن مواطنًا ساذجًا من (بيد مونت) ، إذا ما رأى مركبة قادمة من الفضاء ، لابد أن يخبر الجميع بما رآه .. لكن هذا لم يحدث .. ولم تصلهم أية أخبار من هذه البلدة ..

خرج الرجلان من العربة وألقيا نظرة على المكان .. كان السلام يسود الربوع .. سلام له لون ظلام الليل .. لكنهما - بعد ثوان - لاحظا الطيور ..

طيورًا عملاقة كانت تحوّم حول المبانى .. كأشباح فوق

وجه القمر .. كيف لم يلاحظها من قبل ؟.. ماذا يعنيه وجودها ؟..

ـ « ربما كانت صقورًا » .

ـ « هى كذلك .. ولكن لماذا هى هنا ؟ » .

لم يرد الآخر .. فأشعل (شون) لفافة تبغ ، وهو يكوّر راحتيه حول اللهب ليمنعه من الانطفاء .. ثم رفع المنظار المقرب إلى أنفه ، وشرع يمسح الأفق ببطء ..

بعد دقائق ألقى بلفافة التبغ إلى الجليد .. وغمغم :

ـ « ربما كان الأوفق أن نهبط ونلقى نظرة ... » .

★ ★ ★

٢ ـ فاندنبرج ..

على بعد ثلاثمائة ميل فى غرفة مراقبة معزولة ، يجلس الملازم (إنجار كومرو) ، وعلى مكتبه حشد من المقالات العلمية .

مهمة (إنجار) هذه الليلة ، هى الإشراف على عملية البحث فى صحراء (أريزونا) عن القذيفة المكوكبية .

وكان الرجل يكره هذا العمل ، ولا يطيق هذه الغرفة الباردة المقيتة بضوئها الخافت .. إن عملًا كهذا لا يجلب سوى السأم ، ولما كان (إنجار) أساسًا مختصًا فى فسيولوجيا الجهاز الدورى ، فقد وجدها فرصة سانحة ، لقراءة مقال عن (نسبة انتشار الأوكسجين عندما تزيد الضغوط الجوية) ، وهو ـ كما نرى ـ موضوع لا يساعد كثيرًا على قتل الملل .. كان ذلك حين أصدر مكبر الصوت فوق رأسه قرقعة .. ودوى صوت (شون) يتكلم من عربة المتابعة :

ـ هنا (كيبر ـ ١) يخاطب (فاندال ـ ١٠) .. هل تسمعنى ؟.. حوّل ..

ـ أسمعك ..

ـ نحن على وشك دخول المدينة لاسترداد القذيفة .. أبق جهاز الراديو مفتوحًا ..

كان هذا بروتوكولا ثابتًا فى كتيب (قواعد النظام الخاص باسترجاع القذائف) .. يجب أن يتم تسجيل كل شىء على شريط كاسيت .. ولم يستطع (كومرو) قط أن يفهم جدوى هذا الإجراء .. الأمر واضح .. العربة تذهب .. تسترجع المقذوف .. تعود .. فلم التعقيدات ؟

وعاد يطالع المقال الممل ، ويصغى للأصوات من الراديو :

ـ نحن الآن داخل المدينة .. لقد مررنا بمحطة بنزين .. لكن لا علامة على الحياة .. لا أضواء .. لكن إشارات المقذوف تتعالى دون توقف ..

كان (كومرو) يعرف (شون) .. إنه رجل بلا خيال .. وهو قادر تمامًا على أن ينام فى أثناء عرض فيلم رعب .. فلماذا يبدو هذا التوتر فى صوته ؟

وتستمر الأصوات من الجهاز :

ـ هل رأيت هذا يا (كرين) ؟

يدوى صوت (كرين) :

ـ ماذا هنالك ؟

ـ هناك .. على جانب الطريق .. يبدو كجسد ممدد .. ثم دوى صوت محرك العربة .. ثم :

ـ يا إلهى الرحيم !

ـ هوذا واحد آخر .. يبدو ميتًا .. هل .. ؟

ـ لا .. ابق فى العربة ..

دون كلمة أخرى مدّ (كومرو) إصبعه إلى زرّ أحمر مكتوب عليه (أمن) ، فضغطه .. هذا الزر مهمته عزل الغرفة تمامًا عن العالم الخارجى .. ثم رفع سماعة الهاتف :

ـ هالو !.. أعطنى ميجور (مانشك) حالًا .. أولوية مطلقة ..

وكان الميجور المذكور هو المسئول عن كل نشاطات المشروع لشهر (فبراير) ... وطفق (كومرو) ينتظر الخطّ ويصغى للمحادثة :

ـ هل أنت واثق بأنهم موتى يا (كرين) ؟

ـ بالتأكيد .. لابد أن هناك عشرات منهم ..!

وفجأة دوى الصوت المذعور :

ـ (كرين) !.. هل تراه ؟



ـ هناك .. على جانب الطريق .. يبدو كجسد ممدد .. ثم دوّى صوت محرك العربة .. ثم : ـ يا إلهى الرحيم !..

ـ نعم .. ذلك الرجل فى المعطف الأبيض يعبر الشارع ..

ـ إنه يمشى فوق جثثهم بلا مبالاة .. كأنهم ..

ـ إنه قادم نحونا !

ـ أرى أن نترك هذا المكان فورًا .. إننى ..

وهنا دوت الصرخة الحادة ..

وانتهى الاتصال تمامًا ، فلم يعد (كومرو) قادرًا على سماع صوت الرجلين مرة أخرى ..!

* * *

٣ ـ الأزمـــة ..

إن الأزمات العلمية لشىء نادر ..، وحتى حين ظهرت هذه الأزمات فى تاريخ البشرية ، كانت تتعلق دائمًا بالكيمياء أو الفيزياء ، وليس بعلوم الحياة (البيولوجى) ..، وهذا أمر متوقع .. فقد كان علماء الطبيعة هم أول من طوّر علمه .. ثم لحقت الكيمياء بالطبيعة بخطا حثيثة ، لكن علم الأحياء ظل طفلًا يحبو ..

وحتى فى زمن (جاليليو) و (نيوتن) كان الناس يعرفون عن القمر أكثر بمراحل مما يعرفون عن أجسادهم .

واستمر هذا الوضع حتى عام ١٩٤٠ للفترة ما بعد الحرب ، وبدء عهد المضادات الحيوية .. ثم اكتشاف الشفرة الوراثية وكيمياء المناعة ، وفى عام ١٩٥٣ تم زرع أول كلية فى التاريخ .. وفى عام ١٩٥٨ تم تركيب أول حبة مانعة للحمل ..، لقد صار علم الأحياء يرمح بخطا واسعة .. وبرغم هذا لم تحدث أية أزمة بيولوجية قط قبل أزمة (سلالة أندروميدا) ..

وكما يقول (لويس بورنايم) : « الأزمة هى موقف

تتحول فيه مجموعة من الظروف المقبولة ، إلى ظروف غير مقبولة بتاتًا .. وذلك بعد إضافة عامل معين قد يكون سياسيًا أو اقتصاديًا أو علميًا .. موت سياسى شهير .. عدم ثبات أسعار البورصة .. كلها تتساوى فى النهاية » .

وإذا نحن نظرنا إلى قضية (سلالة أندروميدا) ، لوجدنا أن الأفراد الذين واجهوها فى البداية لم يكونوا مؤهلين لمواجهة أول أزمة بيولوجية فى التاريخ ، كان (شون) و (كرين) واضحى الكفاءة ، لكنهما لا يتمتعان بتفكير خلاق .. كذلك كان رئيسهما (كومرو) .. لكن هذا الأخير ـ كما تقضى اللوائح ـ اتصل برئيسه الميجور (مانتشيك) ، وهنا تأخذ القصة مجرى مختلفًا .. لأن (مانتشيك) كان معدًا ومؤهلًا لقياس أبعاد أزمة هائلة كهذه ..

★ ★ ★

جلس (مانتشيك) يملأ غليونه بالطباق ، ويصغى للشريط المسجل فى حوزة (كومرو) ..، وكان (مانتشيك) مهندسًا بدين الجسد يعانى ارتفاعًا فى ضغط الدم يهدد مستقبله فى الجيش ، ما لم يفقد وزنًا كما نصحوه من قبل .. لذلك كان يفكر فى ترك الجيش ، والالتحاق بالقطاع الصناعى ، حيث لايعبأ أحد بوزنك أو

ضغط دمك ... وفى هذه الليلة ـ حين استدعوه ـ شعر بالتوتر والقلق .. من ثم اتخذ ردَّ الفعل الدفاعى الوحيد المميز له : صار أكثر تراخيًا وبطئًا ، هذا هو سرّ نجاحه .. كلما هاج الناس من حوله ، ازداد هو لامبالاة .. إلى حدّ أنك تظنه سيهوى مغشيًا عليه .. وكان هذا هو أسلوبه ليظل موضوعيًا صافى الذهن ولا ينجرف إلى الذعر ..

كانت المشكلة ـ كما أوضحها (كومرو) ـ هى انقطاع الاتصال بالعربة .. بعبارة أدق ، لم يعد (شون) و (كرين) يتكلمان ، لكن صوت محرك العربة ظل قادمًا من مكبر الصوت .

أحس (مانتشيك) بالإرهاق .. إن أمسية رهيبة تنتظره من المكالمات الهاتفية والاتصالات ، وارتباكات نظم (الكمبيوتر) ..

أصدر أوامره بإعداد كل شىء وإرسال (القشاش) إلى البلدة .. كما طلب أن يتصلوا بالفنيين وخاصة (جاجرز) .. ولم يكن (مانتشيك) واقعًا فى غرام (جاجرز) ، لكنه كان يعلم كفاءته ..

وهو الليلة فى حاجة إلى رجل كفء ..

* * *

فى الحادية عشرة مساء ، حلقت طائرة (صمويل ويلسون) بسرعة ٤٦٥ ميلًا فى الساعة ، فوق صحراء (موجافى) .. ومن بعيد فى ضوء القمر استطاع أن يرى النفاثتين اللتين أرسلهما الجيش تحلقان فوق البلدة ، بينما اللهب الغاضب ينبعث من مؤخرتيهما ..

وكانت طائرة (ويلسون) تختلف .. فهى رشيقة طويلة الجسم .. يسمونها (القشاش) .. وهى واحدة من سبع طائرات مماثلة فى العالم كله ، طائرة استطلاعية متوسطة المدى ، مزودة بإمكانات الرؤية ليلًا ونهارًا .. ومزودة بكاميرا قادرة على تصوير الطيف المرئى ، بالإضافة إلى الإشعاعات منخفضة التردد ، ولها القدرة على المسح الإشعاعى ، ورؤية الأشعة تحت الحمراء ، ومن نافلة القول أن نقول إن كل الأفلام كانت تحمض وتطبع فى الجو ..

لهذا كان (القشاش) هو أفضل ما يمكن إرساله إلى (بيدمونت) تحت أستار الظلام ..

وهبطت النفاثتان إلى مستوى منخفض .. ثم ألقت كل منهما بقنبلة فوسفورية جعلت البلدة تتوهج بضوء النهار .. وهكذا صار كل شىء ممهدًا أمام (ويلسون) كى يلتقط ما يريد من صور ..

ضغط الرجل زرّ الكاميرا .. وهبط بزاوية حادة .. ثم عاد

يرتفع .. وعلى أرض الشارع الوحيد بالبلدة رأى أجسادًا .. أجسادًا ممددة ..

ـ يا إلهى الرحيم !

ثم تناسى ما رآه ، وعاد يحاول الهبوط .. فالدرس الأول الذى يتعلمه طيارو الاستطلاع ، هو : لا تهتم بما تراه .. فقط صوّره ودعه للخبراء ليحللوه حين تعود .. أما لو انغمست فى محاولة الفهم وانفعلت فلن يكون نصيبك سوى تهشم طائرتك ..

وحين هبط مرة أخرى كانت الأجساد هناك ..

★ ★ ★

لم يكن أحد يحبّ (جاجرز) فى القاعدة ، إلا أن الجميع كانوا يقرّون له بأنه سيد فهم صور الاستطلاع .. وخير من يفسرها ..

فما إن دخل (مانتشيك) و (كومرو) الحجرة ، حتى دعاهما الرجل إلى الجلوس أمام شاشة معلقة هناك ، وأشار إلى مسئول تشغيل الفانوس السحرى كى يبدأ العرض ..

وعلى الشاشة سقطت صورة تمثل مدينة صحراوية من الجو ..

ـ « تلك صورة أخذت منذ شهرين بوساطة قمرنا

الصناعى (جانوس ـ ١٢) .. على ارتفاع ١٨٧ ميلًا .. يمكنكم رؤية تفاصيل مدينة (بيدمونت) .. محطة البنزين ـ هل تقرءون كلمة (بنزين) عليها ؟ ـ ثم الدكان الرئيسى .. ومكتب البريد والكنيسة .. الصورة التالية من فضلك » .

كليك أخرى .. ثم ظهرت صورة غريبة ، لا يبدو بها سوى اللونين الأبيض والأحمر ..

ـ « هذه صورة بالأشعة تحت الحمراء ، التقطها (القشاش) .. وهى صورة للحرارة أكثر منها للضوء .. كل ما هو دافئ يأخذ اللون الأبيض وما هو بارد يأخذ اللون الأسود .. وكما ترون : المبانى لونها أسود ؛ لأنها أبرد من الأرض .. هذا يحدث فى الليل دومًا .. والآن .. هل ترون هذه البقع البيضاء ؟.. إنها أجساد .. بعضها فى الشارع وبعضها داخل المنازل .. عددها خمسة عشر ..» .

ـ هل تعنى أنهم ماتوا ؟

ـ ربما هم أحياء .. وربما ماتوا منذ فترة قريبة ، ما داموا لم يبردوا تمامًا .. لكن حرارتهم تتباين .. بعضهم أميل للبرودة ، وبعضهم مازال دافئًا .. لكننا لاحظنا أن هذا الشخص ـ هل ترونه ؟ ـ أكثر دفئًا من سواه .. بل ويتحرك !

ـ إذن هناك شخص حىّ ؟

ـ هذا هو ما يمكن افتراضه ..

ـ وماذا حدث لراكبى العربة ؟

ـ صارا بقعتين بيضاوين يخبو بياضهما مع الوقت .

نهض (مانتشيك) وأشار إلى (كومرو) كى يتبعه .. وأصدر له تعليماته ، بينما هما يقطعان الممر :

ـ اطلب جنرال (ويلر) .. قل له إننى سأعلن (ح . ط) عاجلة(★) .. اطلب منه المجىء فورًا ، فلا أحد سواه يملك هذه السلطة » .

ـ ألا تخبره أنت بنفسك ؟

ـ إن لدى أشياء هامة ينبغى عملها ..

★ ★ ★

(★) ح . ط : حالة طوارىء .

٤ ـ الإنـــذار ..

دخل (مانتشيك) غرفته عازلة الصوت وأغلقها عليه .. كان يعرف بالضبط ما سيفعله ، لكنه كان يجهل لماذا يفعله ..

كان قد تلقى ملخصًا عما يسمى بمشروع (وايلد فاير) منذ عام .. ولقد نسى (مانتشيك) التفاصيل ، لكنه يذكر شيئًا ما عن معمل فى مكان ما ، ومجموعة من خمسة علماء ، مهمتهم ـ من خلال المشروع ـ هى دراسة أشكال الحياة غير الأرضية ، التى قد تأتى الأرض بوساطة سفن الفضاء الأمريكية العائدة ..

لم يكن يعرف العلماء الخمسة .. فقط كان يعرف أن هناك خطًا يقوم باستدعائهم .. وعلى من يطلبهم أن يطلب الصيغة الثنائية لبعض الأعداد .. مدّ يده إلى حافظته وأخرج بطاقة كتب عليها :

فى حـــالة الحـــريق

اطلب الوحـــدة ٨٧

هذا هو .. وأخرج ورقة وبدأ يسجل عليها الترجمة

الثنائية للرقم (٨٧) .. إن الأرقام الثنائية مصممة للحاسبات الآلية ، التى تستعمل أسلوب (نعم ـ لا) .. (شحنة كهربية ـ لاشحنة كهربية) .. وقد وصف أحد الرياضيين الأرقام الثنائية ، بأنها وسيلة العدّ لمن لايملكون سوى إصبعين فى كفهم ! .. إلا أنها مألوفة لمن يعرف (الكمبيوتر) ..

وحين فرغ من التحويل كان الرقم الثنائى هو :

110 11 11 0

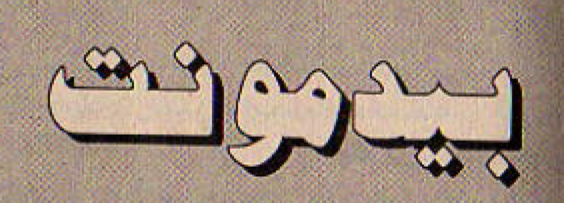
أى أن الرقم هو (١٠١٠ ـ ١١٠ ـ ١) وهو رقم هاتف معقول .. ويمكن طلبه من القرص ..

وهذا هو ما فعله ..

كان الوقت هو منتصف الليل عندما أدار القرص ..

★ ★ ★

اليوم الثانى



٥ـ الساعات المبكرة ..

كانت الأجهزة كلها تنتظر هذه اللحظة منذ عامين كاملين ..

وبدأ (مانتشيك) يسمع صوت طنين ، عرف على الفور ، أنه يعنى أن مكالمته قد أدخلت إلى خطوط خاصة تشفّر الرسالة .. ثم سمع صوتًا :

ـ هذا الصوت مسجل .. أعط اسمك ورسالتك ثم انتظر .

ـ ميجور (آرثر مانتشيك) .. قاعدة (فاندنبرج) الجوية .. أعتقد أنه من الواجب إعلان إنذار (وايلد فاير) .. ولدىّ أدلة بصرية هامة .

قالها شاعرًا بالسخف .. فهو ـ برغم كل شيء ـ يحدّث شريط تسجيل .. سمع صوت الـ (كليك) المميز لإغلاق الخط ، فطفق ينتظر أن يتلقى عشرات المكالمات الملهوفة ، لكن شيئًا من هذا لم يحدث ..

ولم يدر أنه خلال ثوان عشر من مكالمته ، راحت رسائل مشفّرة تمرّ عبر كابلات الهاتف فائقة السرية :

********* وحـدة *********

سرى للغاية

الشفرة هى :

س ب و ٩/٩/٩/٢٣٤/٤٣٥/٦٧٧٨/٩٠

الرسالة هى :

إنذار وايلدفاير

حالة إنذار حتى تعليمات أخرى

انتهى .

★ ★ ★

بعد ذلك ـ دون تدخل بشر ـ راحت الرسالة الآتية تتردد :

********* وحـدة *********

سرى للغاية

الرسالة هى :

يتم وضع المواطنين الأمريكيين التاليـة أسماؤهم فى حالة (زد ـ كابا) :

ستون ، جيريمى

ليفيت ، بيتر

بيرتون ، تشارلز ـ ل

كيرك ، كرستيان . ألغ هذا السطر

هول ، مارك

انتهى .

★ ★ ★

كانت هذه هى الرسالة .. وكما نرى كان هناك خطأ فى الاسم الرابع .. مما اضطرهم فى (واشنطن) إلى استدعاء خبير كمبيوتر لمعرفة مدى صحة الرسالة ، بما يسمى بـ (التتبع العكسى) .. لكن الخبير لم يستطع أن يتأكد سوى من صحة اسمين من القائمة ..

★ ★ ★

الساعة الواحدة صباحًا ، و (أليسون ستون) فى دراها المطلة على ساحة (ستانفورد) ، تتساءل فى قلق عن سبب بقاء ضيوفها إلى هذا الوقت المتأخر .. لقد شربوا قدحين من القهوة ، وبرغم ذلك لم يبد أحدهم نية للانصراف .. وفى ذعر نظرت نحو زوجها الأستاذ فى إدارة (ستانفورد) للباكتريا .. هنا دق جرس الباب فذهبت لتفتحه .. وجدت رجلين عسكريين ـ لدهشتها ـ يقفان على الباب وقد بدا عليهما الارتباك :

ـ معذرة سيدتى .. هل هذه دار د. (جيريمى ستون)؟

ـ إنها هى ..

ثم نظرت وراء كتفه .. ما سر هذه السيارة العسكرية الواقفة هنالك ؟ ولماذا يقف ذلك الرجل ممسكًا بشىء ما فى يده ؟

- هل هذا الرجل يحمل سلاحًا ؟
- سيدتى .. لابد لنا من مقابلة د. (ستون) حالًا .

تراجعت للوراء والذعر يغمرها .. كادت تغلق الباب ، لكنها وجدت الرجل وقد دلف إلى الداخل بالفعل .. مهذبًا متحفظًا برغم كل شىء .

إلى زوجها ذهبت وأخبرته بالنبأ المقلق ، لكن أثار دهشتها أنه بدا لها كأنما يتوقع هذا ..

خرج إلى الردهة .. فحياه الرجل العسكرى مقدمًا نفسه باسم كابتن (مورتون) .. وباقتضاب عسكرى قال له :

- ثمة حريق يا سيدى .
- « فهمت » - ونظر (ستون) إلى سترة السهرة - « هل ثمة وقت كى أستبدل ثيابى ؟ » .
- أخشى أن لا يا سيدى .

ولدهشتها وجدت زوجها يودعها ويستعد للانصراف .. فصاحت مذعورة :

- متى تعود ؟
- لا أدرى .. ربما بعد أسبوعين أو أكثر ..!

نظرت فى هلع إليه .. بدا لها الأمر كأنه كابوس ..

- ولكن .. الأسلحة .... هل أنت معتقل ؟
- لا يا ملاكى - وابتسم فى رفق - أبلغى اعتذارى للضيوف .

وقبل أن تفهم ، كان زوجها قد قبلها ، وغادر الدار يحيطه رجلا الجيش ، متجهين إلى سيارة الجيش دون كلمة ..

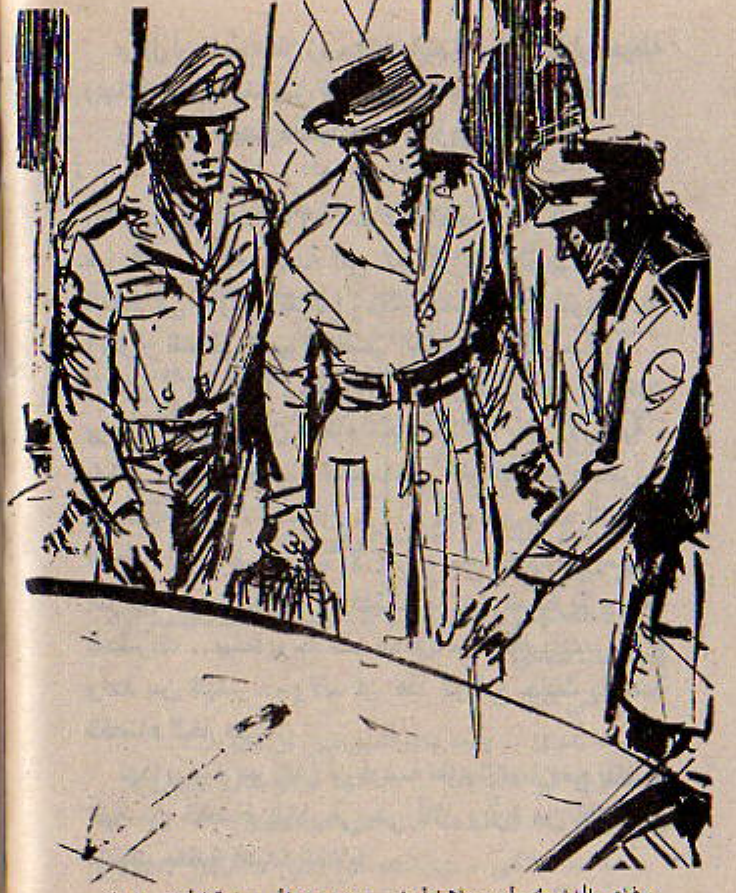
وانطلقت السيارة بعيدًا عن ناظريها ..

★ ★ ★

فى صيف عام ١٩٦٢ قدم عالم الأحياء الإنجليزى (ج . ميريك) ، ورقة علمية إلى المؤتمر البيولوجى العاشر المقام فى (لونج آيلاند) ، وكان عنوان هذه الورقة هو (تكرار التلاقى الحيوى حسب الخصائص النوعية) ..

كان (ميريك) رجلًا ثوريًا ذا آراء جامحة .. وكان يرى فى دراسته أن اللقاء مع الأجناس غير الأرضية ، يمكن تحديده حسب الخصائص النوعية للأجناس .. فالحقيقة التى لا تدحض هى أن الأجناس ذات التركيب المعقد نادرة على كوكب الأرض ، بينما الأجناس بسيطة التركيب توجد بوفرة .. فهناك ملايين الباكتريا وآلاف الحشرات .. بينما يوجد عدد محدود من الفقاريات .. ونوع واحد من البشر .. ولابد أن هذا الوضع حادث بالنسبة للفضاء الخارجى ..

لهذا يرى (ميريك) أن فرصة لقاء الإنسان مع باكتريا آتية من الفضاء الخارجى هى أكثر وفرة من لقائه مع كائنات معقدة عديدة الخلايا ..



وغادر الدار يحيطه رجلا الجيش ، متجهين إلى سيارة الجيش دون كلمة ..

وهذا اللقاء المتوقع يحمل خطرًا جسيمًا ، إذا ما تذكرنا أن ثلاثة فى المائة من باكتريا الأرض تحمل المرض للإنسان ..

★ ★ ★

كان (ستون) ممن حضروا هذا المؤتمر .. واهتموا كثيرًا بما جاء فيه .. وكان (ستون) أستاذًا فى (الباكتريا) منذ كان فى الثلاثين من عمره .. بل إنه حاصل على جائزة (نوبل) فى العلوم الطبية ..

وكما قال أحد رفاقه عنه : « إن (جيريمى) يعرف كل شىء .. وتستهويه كل الأشياء الباقية ! » ..

من الناحية البدنية ، هو رجل نحيل أميل للصلع .. له ذاكرة حديدية .. نافذ الصبر إلى حد مزعج ، حتى أنه يشعرك بأنك تثير الملل ..

وفى بداية الستينات ، فطنت الولايات المتحدة إلى مركزها العلمى المتقدم بين دول العالم .. إن ثمانين فى المائة من الاكتشافات العلمية فى العالم ، فى العقود الثلاثة السابقة صنعها أمريكيون .. ولدى الولايات المتحدة خمسة وسبعون فى المائة من الحاسبات الآلية فى العالم .. وتسعون فى المائة من أجهزة الليزر .. ولديها من العلماء أكثر من أربعة أمثال علماء (أوروبا) ، تنفق على بحوثهم سبعة أضعاف ما تنفقه (أوروبا) ..

وكان (ستون) من طليعة علماء الولايات المتحدة فى (كاليفورنيا) .. لهذا استطاع أن ينتزع من (الكونجرس) الموافقة على مشروع (وايلدفاير) ..

* * *

ومنفعلًا بأفكار (ميريك) ، نشر (ستون) ورقة علمية فى مجلة (العلوم) ، عنوانها (تعقيم سفن الفضاء) ، وأعيد نشرها فى مجلة (الطبيعة) البريطانية(*) .. وفى هذه الورقة تحدث (ستون) عن ضرورة منع سفن الفضاء من جلب العدوى من الفضاء الخارجي .

أحدثت الورقة تأثيرًا لم يدم طويلًا .. لهذا بدأ الرجل سلسلة محاضرات فى قسم الكيمياء الحيوية ، بمدرسة (كاليفورنيا) الطبية . وبدأت نواة مشروع (وايلدفاير) تتكون ..

ومثلما أرسل (آينشتاين) خطابه الشهير إلى (روزفلت) عام ١٩٤٠ ، يقنعه بدخول أمريكا العصر النووى ؛ أرسل (ستون) وعدد من العلماء اقتراحهم إلى الرئيس ببدء مشروع (وايلدفاير) ..

بعدها استدعى (ستون) ليشرح وجهة نظره فى مجلس الأمن القومى .. ثم أرسل إلى وكالة الفضاء (ناسا) ؛

(*) من العسير تبين متى ينتهى الخيال ومتى يبدأ ، لأن هذه الورقة منشورة بالفعل باسم (ستون) .. وكذا باقى أبحاث هذا العالم توجد قائمة بها فى نهاية الرواية (المترجم) .

ليناقش خططه .. وسرعان ما تعهدت وزارة الدفاع بالتمويل .

وفى ذلك الوقت كانت (ناسا) عاكفة على بناء (معمل الاستقبال القمرى) ، المعدّ لاستقبال رواد (أبوللو) العائدين من القمر ، حيث يبقى كل رائد فضاء فى عزل صحى لمدة ثلاثة أسابيع ، حتى يتم التأكد من خلوه من أية باكتريا أو فيروس .. ، لهذا لم يجد أحد مشروع (ستون) شاذًا ..

وفى عام ١٩٦٦ تم بناء معمل (وايلدفاير) فى (فلاتروك) بـ (نيفادا) وتولت تصميمه الهندسى شركة (جنرال ديناميكس) ..

يتكون التصميم من مبنى قمعى الشكل ، تحت الأرض ، من خمسة طوابق .. يحيط كل طابق بقلب من المصاعد والأسلاك والصرف الصحى ..

وليس الانتقال حرًا من طابق لآخر ، لأن كل طابق أكثر تعقيمًا من الطابق الذى أعلاه .. بل ثمة إجراءات تعقيم شديدة التعقيد ..

بعد هذا تم انتخاب خمسة علماء تكون مهمتهم إدارة هذا المشروع .. كان هذه هو ما دار فى ذهن (ستون) ، بينما هو راكب عربة الجيش ..

* * *

وفى الطائرة (البوينج) جلس (ستون) وحيدًا تمامًا ، يطالع الملف الذى أعطوه إياه .. ولم يفته أن يلاحظ أنهم ـ بدلًا من المضيفة الحسناء ـ أحضروا له رجلًا من البوليس الحربى ، يضع مسدسًا ضخمًا فوق ردفه ، ويرمقه فى ثبات ..

كان الملف يتحدث عن مشروع (سكوب) ، الذى يرسل قذائف إلى الفضاء لجمع الغبار الكونى ثم تعود ، على أمل أن يتضح وجود باكتريا حية بها .. باكتريا تصلح للحرب البيولوجية ..

قطع على (ستون) استغراقه ضابط يحمل جهاز هاتف ، ناوله إياه ، ثم ابتعد مسافة لا بأس بها ..

رفع (ستون) السماعة إلى أذنه شاعرًا بارتباك .. فهى أول مرة فى حياته يتلقى مكالمة هاتفية على متن طائرة :

ـ هاللو .. هنا جنرال (ماركوس) .. رأيت إبلاغك أننا قد استدعينا جميع أفراد الفريق ، عدا بروفسير (كيرك) ..

ـ لماذا ؟

ـ لأنه فى المستشفى .. ستعرف كل شىء عند الهبوط .

ناول (ستون) السماعة للضابط .. وشرع يتخيل ردّ فعل أفراد الفريق متى تم استدعاؤهم ..

خذ عندك (ليفيت) مثلًا .. لسوف يستجيب سريعًا .. إنه عالم فى (الميكروبيولوجى) وخبير أوبئة .. بالإضافة

إلى ذلك هو إنسان شديد التشاؤم إلى حدّ لا يصدق .. له وجه كئيب حزين يحدق فى مستقبل شديد التعاسة ..

بعد هذا يأتى عالم الأمراض (بيرتون) ، الذى لم يستطع (ستون) أن يحبه قط برغم احترامه لعلمه .. كان أخرق كثير الانفعال .. حتى أنهم كانوا يسمونه (المتعثر) ، ربما بسبب كثرة تعثره فى رباط حذائه المفكوك دومًا .. وربما بسبب كثرة أخطائه ..

ثم يجىء (كيرك) عالم (الأنثروبولوجى) من (ييل) الذى لن يلحق بالفريق .. كان عقلًا شديد المنطقية برغم قلة ثقافته .

وهنا يأتى (مارك هول) .. الرجل الخامس الذى لن يكون ذا قيمة من أى نوع .. لقد أقحم فى الفريق إقحامًا برغم أنه جراح ، وكان الأفضل أن يتم اختيار طبيب باطنى .. لكن الضغط كان شديدًا من وزارة الدفاع .. وتساءل (ستون) فى سرّه عن ردّ فعل (هول) إزاء استدعائه ..

★ ★ ★

فيما بعد وصف (هول) ما حدث بأنه أسوأ ما مرّ به فى حياته :

ـ انتزعونى من أكثر العوالم ألفة ورموا بى إلى أكثر العوالم غرابة .

كان يعقم يديه جوار غرفة العمليات (V) ، ويمزح مع الطبيب المقيم ، فى السادسة والنصف صباحًا ، حين سمع صوت (ليفيت) يتكلم عبر جهاز (الإنتركوم) ، طالبًا أن يلحق به فورًا لأن هذه حالة طوارئ ..

وإزاء إلحاحه اضطر إلى فك تعقيمه وإعطاء الجراحة لمساعده ..

صعد ليلقى (ليفيت) رئيس قسم (الميكروبيولوجى) فى ذات المستشفى ، الذى ضمه معه منذ أعوام ، إلى مشروع (وايلدفاير) .. وكان (هول) يشعر برضا لأن شيئًا لن يجىء إلى (وايلدفاير) أبدًا .. هذا مؤكد .. لكن (ليفيت) قابله بطريقة ميلو دراميّة مزعجة ، داعيًا إياه كى يستبدل ثيابه ويهرع معه إلى سيارة تنتظرهما بالخارج ..

ـ أحسبك تتحدث عن ذلك المشروع الملعون ؟

ـ تمامًا .. نحن ذاهبان إلى المطار حالًا ..

نزع (هول) حذاءه ذا الرقبة دون تفكير ، وفتح المريولة .. لم يكن يظن أن يومًا كهذا آت أبدًا ..

ولم يصدق ما يحدث إلا حين رأى سيارة الجيش بلونها الزيتونى تنتظر ..

عندئذ عرف أن (ليفيت) لا يمزح .. لا أحد يمزح ..

إن هناك كابوسًا مريعًا فى الطريق ..

★ ★ ★

كان (ليفيت) مولعًا بالصحة العامة ، وقد سافر إلى

أرجاء العالم كلها .. واكتشف الدودة البرازيلية (تينيا رنزى) عام ١٩٥٣ .. لكنه بدأ يهرم .. ودراسة الأوبئة هى لعبة الشباب فقط ، أو كما قال : (متى أصابتك الدوسنتاريا الأميبية للمرة الخامسة ، عليك أن تتقاعد) .. وهو كان قد أصيب بها للمرة الخامسة فى (روديسيا) عام ١٩٥٥ .. لهذا كف عن الترحال ..

كان هو من رشح (هول) لمشروع (وايلدفاير) .. وحين سأله (هول) عن سبب التشبث به وهو جراح .. قال له :

ـ أنت تفهم فى الكهارل (أيونات الدم) .. كيمياء الدم ودرجة حموضته ..

إن لهذا شأنًا عظيمًا حين يحين الوقت ..

ـ لكن هناك الكثيرين من خبراء الكهارل .

ـ أنت تتفوق عليهم بكونك غير متزوج .. ونحن بحاجة إلى رجل عزب فى فريقنا ..!

★ ★ ★

وفى السيارة عرف الرجلان أنهما سيركبان طائرة (إف ـ ١٠٤) إلى (نيفادا) .. وتلقى كل منهما ملفًا عليه قراءته فى أثناء الرحلة ..

ـ وما هى وجهتنا ؟

ـ (بيدمونت) فى (أريزونا) .

ـ لم أسمع عنها قط ..

ـ لا أحد يعرف عنها شيئًا .. حتى الآن .

★ ★ ★

٦ ـ بيدمونت ..

فى التاسعة والنصف صباحًا أقلعت طائرة هليوكوبتر من مطار (فاندنبرج) السرّى قاصدة (أريزونا) ..

وبداخل الطائرة كان هناك ثلاثة رجال : ربان وعالمان ، يلبسون جميعًا ثيابًا مطاطية قابلة للانتفاخ .. فبدوا كغزاة من المريخ يعانون من البدانة ..

كان العالمان هما (ستون) و (بيرتون) .. الأول عرفناه من قبل ، أما الثانى فعالم باثولوجى ، يعمل فى مجال تأثير الباكتريا على الأنسجة .. وهو مجال نادر العمل به ، منذ أن افترض (هنل) عام ١٨٤٠ ، أن الجراثيم تسبب الأمراض .. وقد درس (بيرتون) المكورات العنقودية البيضاء التى تسبب الدمامل .. واكتشف نصف دستة من السموم التى تفرزها هذه الباكتريا ، وتنشر العدوى .. ولم تكن هناك مشكلة فى هذا الحين ؛ لأن هذه الباكتريا كانت حساسة للبنسلين ، إلا أنه فى عام ١٩٥٠ ، ظهرت أول سلالة مقاومة للبنسلين من المكورات العنقودية .. وسرعان ما هرع العلماء نحو

(بيرتون) ، يطلبون منه ما يعرفه عن هذه الباكتريا التى صارت مفترسة فجأة ..

والمشكلة التى يجابهها اليوم ، كانت ساخنة تمامًا .. خمسة عشر رجلًا لقوا حتفهم فى غضون ثمان ساعات .. لابد أن العدوى التى هم بصددها ـ لو كانت عدوى ـ هى محمولة بالهواء ..

شرع العالمان يتأملان خرائط (بيدمونت) ، تلك التى أعدها الكمبيوتر لهم ، وعليها سرعة الريح وخلافه ..

قال (ستون) :

ـ « ما يحيرنى هو سرعة الوفاة ـ كما تبينا من التسجيل ـ ، وهذا لا يحدث إلا بفعل غاز سريع الانتشار عبر الجلد أو الرئتين .. » .

وسمعا صوت الطيار يقول عبر جهاز (الانتركوم) :

ـ « (بيدمونت) أيها السيدان .. أرجو أن تصديا النصح » .

هتف (ستون) :

ـ « در مرة حول المدينة .. ودعنا نلق نظرة » .

ثم مال على (بيرتون) وقال مبتسمًا :

ـ « لو كان الموضوع يتعلق بغاز سريع الانتشار فلسوف نعرف سريعًا ! » .

مالت الطائرة وبدأت تهبط أكثر ..

واستطاع العالمان أن يريا الطيور الجارحة محتشدة حول الجثث ..

- كنت أخشى هذا ..

- ستعمل هذه الجوارح على نقل العدوى .. فماذا نفعل ؟

نظر له (ستون) مفكرًا .. ثم قرب فاه من جهاز (الإنتركوم) :

- رشها بالغاز السام !.. هل معك العبوات ؟

- أمرك يا سيدى ..

وبعد دقيقة لم يعد العالمان قادرين على رؤية الأرض ، بسبب سحابة الغاز الرمادية الكثيفة ، التى غلفت الأرض والأجساد ..

- ما هذا الذى رششته ؟

- (جازولين) يا سيدى .. شديد الفعالية - وبتركيز ضعيف - على تمثيل الطيور الحيوى .. إن الطيور كائنات دقيقة ، يدق قلبها بسرعة ١٢٠ فى الدقيقة ، وتأكل أكثر من وزنها يوميًا ، لهذا تتمتع بمعدل تمثيل حيوى عال جدًا ..

وبالفعل .. حين انقشعت سحابة الغاز ، كانت مئات من

جثث الطيور ملقاة على الأرض ، بعضها مازال يخفق بجناحه معالجًا بسكرات الموت ..

وفى جهاز (الإنتركوم) ، أصدر (ستون) تعليماته الجديدة للطيار .

- اتجه إلى الشارع الرئيسى واهبط إلى ارتفاع عشرين قدمًا .. ثم أنزل السلم المصنوع من الحبال .. لاتهبط .. هل هذا واضح ؟

- واضح يا سيدى ..

- ستعود حين نخبرك .. وإذا حدث لنا شىء ..

- أعرف يا سيدى .. سأذهب مباشرة إلى (وايلدفاير) .

كان الطيار يعرف عمله جيدًا .. فهو يتقاضى أعلى مرتب فى السلاح الجوى الأمريكى .. بدل مخاطرة .. بدل خدمات خاصة فى غير وقت الحرب .. بدل ساعات طيران .. إن هذه الرحلة تعنى أن يحصل على ألف دولار لو عاد .. وتحصل أسرته على عشرة آلاف لو لم يعُد ..

ولهذا السخاء ما يبرره .. فلو حدث شىء للعالمين ، سيكون على الطيار أن يعود إلى (وايلدفاير) ويحلق على ارتفاع ثلاثين قدمًا إلى أن تقوم إدارة المشروع بحرقه هو وطائرته فى الجو ! ..

وكان مضطرًا للذهاب إلى (وايلدفاير) ، لأن فوقه تحلق باستمرار مقاتلة نفاثة ، تحمل صواريخ جو ـ جو ، مستعدة لنسفه فى اللحظة التى يحاول فيها الفرار ..

وفوق الشارع الرئيسى حلق الطيار ، ثم توقف بالطائرة .. وأنزل السلم ... فنهض (ستون) وأحكم غلق بدلته المطاطية ونفخها وارتدى الخوذة المتصلة بخزان (أكسجين) يكفيه ساعتين .

وحذا (بيرتون) حذوه .. ثم شرع العالمان يهبطان على الحبل .. سحب الغبار تتصاعد ، فلم يعرفا أنهما وصلا إلا حين لمسا الأرض .. وارتفعت الهليوكوبتر .. فبدأ الغبار ينقشع وأمكنهما أن يريا ..

وببطء شرعا يشقان طريقهما عبر شارع (بيدمونت) الرئيسى ..

* * *

٧ ـ مهمة غير معتادة .. ..

بعد أسابيع حكى الرجلان هذا المشهد بالتفصيل :

كانت الشمس تلقى أشعتها الباردة عديمة البهجة ، فوق الأرض المكسوة بطبقة جليد هشة .. الصمت فى كل مكان .. والأجساد كذلك فى كل مكان وقد ارتسمت دهشة على وجوه الموتى ..

لاكلاب تعوى .. لامحركات تهدر .. لاأطفال يصرخون .. صمت ...

ولفترة غير قصيرة ، ظل الرجلان واقفين عاجزين عن اتخاذ قرار .. ثم إن (ستون) قطع السكون متسائلًا :

ـ لماذا هم جميعًا خارج ديارهم ؟.. لو أن مرضًا قد زارهم ليلة أمس لهلكوا جميعًا فى أسرّتهم .

الأغرب هو أن الموتى جميعًا يرتدون مناماتهم .. لماذا لم يرتد أحدهم معطفًا أو روبًا قبل أن يخرج إلى الشارع البارد ؟

ـ ربما كانوا فى عجلة كى يروا شيئًا ما ..

وتأمل أول جثة رآها ، ولاحظ ملاحظة سليمة ، هى أن أكثر الموتى يمسكون بصدورهم .. وأن وجوههم تعكس السلام ، كأنما كان هلاكهم بدون ألم ... أن يموت الإنسان وهو يمسك صدره يشير إلى أزمة قلبية أو سدة رئوية ، لكن هذين يكونان مصحوبين بألم مريع .. ربما هلك هؤلاء بفعل (الاسفكسيا) السريعة غير الأليمة ..

وفى منتصف الشارع ، وقفت العربة الـ (فان) .. وبداخلها جثتا المجندين (شون) و (كرين) ، وقد بدا عليهما التصلب الرمّى ..

كان (شون) قد هوى برأسه فوق عجلة القيادة ، فكان هناك قطع كبير عبر وجهه مزّق أنفه ..

ـ لا أفهم هذا ..

ـ ماذا ؟ .

ـ هذا الجرح نظيف جدًا .. لا نزف على الإطلاق .

ـ برغم أن جرحًا كهذا كان سينزف كالجحيم ذاته ..

ثم إن (ستون) جذب جثة (شون) المتخشبة خارج العربة .. وقال لزميله فى عصبية :

ـ هلم نبحث عن هذه القذيفة اللعينة .. لقد بدأ هذا يثير قلقى .

وأخرجا جثة (كرين) من العربة التى نفد وقودها .. ثم ذهبا إلى حيث محطة البنزين فملآ دلوًا بالوقود ، ثم عادا ليملأ خزان العربة ..

وانطلقت العربة ، على حين أدار (بيرتون) جهاز الرادار ، فسمعا صوت الإشارات القادم من القذيفة الكوكبية ..

شرع الصوت يتعالى .. ويتعالى .. ثم فجأة راح ينخفض ، فأدركا أنهما تجاوزا مكان القذيفة .. فعادا يبحثان

عن مصدره ... أخيرًا وجداه فى منزل خشبى كتب على بابه (د. آلان بندكت) .. إذن فأهل القرية حملوا المقذوف إلى دار طبيب البلدة ..

كان الباب مفتوحًا ومواربًا .. دخل الرجلان إلى مكتب الطبيب .. الرجل الأشيب البدين الجالس وراء مكتبه ، وأمامه مجموعة من المراجع العلمية ، وعيناه تحدقان دون أن تريا عبر الغرفة ... وإلى جواره كان المقذوف .. قمع براق ارتفاعه ثلاثة أقدام ، وقد احترقت حوافه من حرارة الاحتكاك ... ولقد تم فتحه بفظاظة بوساطة أزميل و (بنستين) رآهما العالمان جوار المقذوف ..

ـ لقد فتحه الوغد الغبى !

ـ كيف كان له أن يعلم ؟

ـ هو يعلم الآن على كل حال !.. هل معك الحقيبة ؟.

مدّ له (بيرتون) الحقيبة البلاستيكية وفتحها .. فتعاونا على إدخال القمر الصناعى الصغير بها وأحكما غلقها ..

ثم إنهما شرعا يتفحصان جثة (بندكت) .. وكان مالاحظه (بيرتون) هو أن الجثة خالية من آثار الزرقة الرمّية ، وهى آثار الدماء التى تحتشد بعد الوفاة فى الأجزاء السفلى من الجسم .. لقدمات (بندكت) وهو جالس ، وكان المنطقى أن يحتشد الدم فى ردفيه أو كوعيه ..

قال (بيرتون) وهو يمدّ يده إلى مبضع على المكتب :

ـ سوف آخذ من هذا الرجل شريانًا ووريدًا رئيسيين .

ومدّ المبضع إلى معصم الرجل وشق الجلد .. لا دماء .. إن هذا غريب .. في النهاية وصل إلى الشريان وقطعه .. وأدرك على الفور أن الدم به قد تجمد تمامًا .. صار كتلة حمراء صلبة ..

ـ عليّ اللعنة !

قالها (ستون) وهو يرمق المشهد مذهولًا ..

ثم إن (بيرتون) شق الفخذ واقتطع الشريان الفخذى .. ثم شق الصدر بوساطة الأزميل ، وانتزع القلب الذى كان مليئًا بدم متجمد متخثر هو الآخر ..

ـ « أنا لم أر مرضًا كهذا من قبل » ـ قال (بيرتون) ـ « لا يوجد مرض يؤدى إلى تجلط خمسة لترات من الدم بهذه السهولة .. ثمة شيء يُدعى (التجلط المنتشر داخل الأوعية) .. لكنه لا يبدو كهذا .. » .

بعد هنيهة صمت قال (ستون) :

ـ أرى أن نجرى مسحًا على المنازل كلها ..

★ ★ ★

كانت الأدلة متناقضة تمامًا :

أسرة ماتت بينما أفرادها ملتفون حول مائدة العشاء يبتسم بعضهم للبعض فى مودة .. وقد تعفن الطعام فى أطباقه تمامًا ..

امرأة عجوز تتدلى من أنشوطة مشنقة إلى السقف .. وعند قدميها مظروف به رسالة أنيقة الخط :

(الى من يعنيه الأمر .. لقد حلّ يوم الحساب لينتهى جنس البشر ما بين الأرض المسعورة ، والبحار الهائجة .. فليرحمنى الله ويرحم من رحمونى .. وإلى الجحيم فليذهب الباقون .. آمين) .

قال (بيرتون) بعد انتهاء القراءة :

ـ تخاريف شيخوخة .. لقد جُنت حين رأت الجميع يقضون نحبهم .

★ ★ ★

كان هناك أيضًا (روى تومبسون) صاحب محطة البنزين .. هذا الرجل ملأ بانيو الحمام بالماء وركع على ركبتيه ، ودفن وجهه فى الماء حتى مات .. وحين وجدا جثته لم تكن هناك آثار عراك .. ولا أحد جواره ..

ـ مستحيل .. لا أحد ينتحر بهذا الأسلوب أبدًا ..

★ ★ ★

واستمر تفتيش البيوت .. كان هناك عدد لا بأس به من المنتحرين .. هناك من فقدوا حياتهم فورًا ، وهناك من فقدوا عقلهم أولًا ثم انتحروا تاركين رسائل غريبة ..

ـ « ولكن لماذا ! » .

قال (بيرتون) فى شرود :

ـ ربما كانت هنالك درجات من المناعة لتلك العدوى .. وأنت تذكر ما سمعوه من جهاز الميكروفون ، وما ظهر فى صور الأشعة تحت الحمراء ، من أن هناك رجلًا واحدًا سالمًا يرتدى ما يشبه المعطف الأبيض .

وهنا سمعا صوت صراخ ..

صوتًا رفيعًا عاليًا كان .. تقطعه سعلات قصيرة حادة ..

هرع الرجلان إلى الخارج .. وفجأة انقطع الصوت ..

ـ أترانا فقدنا عقلينا ؟

وقفا يلهثان وسط الصحراء الحارقة ، ويتبادلان النظرات .. لاشىء سوى الجثث والسيارة الواقفة .. ثم .... الصراخ من جديد .

عاد الرجلان يركضان .. وعلى مسافة يابين وجدا جثتى رجل وامرأة على الأرض .. ومن داخل المنزل انبعث صراخ الصغير ... وفى مهد بغرفة النوم وجداه .. رضيعًا تعسًا محتقن الوجه يبكى فى هلع ..

ـ يا للشىء المسكين .. لقد أصابه الذعر كأنما الجحيم يطارده ..

ورفع (ستون) الرضيع المولول وشرع يهزه برفق ..

ـ إنه جائع .. يحتاج إلى الغيار والرضاعة .. هل نبحث عن علبة لبن صناعى فى هذا البيت ؟

ـ كلا ..

ـ علىّ اللعنة .. لماذا ؟

ـ ربما كان المرض كامنًا فى الطعام فى هذه البلدة .. ربما هو سليم لأنه جائع .. ولربما كان هناك شىء واق فى طعامه .. ربما ..

وافقه (ستون) على مضض .. فكلامه علمى ممنطق .. لكن من الصعب تجاهل أن الرضيع لم يأكل منذ اثنتى عشرة ساعة ...

ثم إن (بيرتون) قال بحزم :

ـ هذا الرضيع هو أهم ما حصلنا عليه هنا .. والآن يجب أن نعود به دون إبطاء .. هذا هو مفتاح اللغز ..

كف الرضيع عن البكاء لحظة ، ومتسائلًا نظر نحو (بيرتون) .. ثم أيقن ألا طعام هنالك فعاد يصرخ ..

ـ من المؤسف أنه لن يستطيع إخبارنا بحقيقة ما حدث .

★ ★ ★

عادا إلى منتصف الشارع وأشارا للهليكوبتر كى تنزل لهما الحبل .. فما إن هبطت هذه حتى عادت سحابة الغبار تعمى عينيهما ، ولف (بيرتون) البطانية بإحكام حول الصغير ليحمى وجهه .. ثم شرع يتسلق الحبال فى مشقة ..

ووقف (ستون) ـ حاملًا القنينة ـ منتظرًا دوره حتى يصعد .. حين أدرك فجأة أنه ليس وحده فى الشارع ..

أدار وجهه مذعورًا ليرى رجلًا عجوزًا أشيب الشعر مجعد الوجه ، يرتدى جلبابًا طويـلًا متسخًا .. وحافى القدمين ... كان يتقدم نحوه ويتعثر .. بينما السعال يمزق صدره .. ويقول :

ـ أنت ......

ـ من أنت ؟

ـ أنت .. فعل ذلك !

ثم شرع يتوسل وهو يرتجف :

ـ لا تؤذنى .. أنا لست كالآخرين ..

أدرك (ستون) أن ثيابه الغريبة ـ كغزاة المريخ ـ أثارت رعب الرجل .. وحاول أن يهدئ من روع الرجل دون جدوى ..

ـ لاتؤذنى .. أنا رجل مريض .. إن معدتى .. أنت لست بشرًا !

ثم انثنى الرجل على نفسه وتقيأ دمًا أحمر قاتم اللون ..

ـ علىّ اللعنة !.. ما اسمك ؟

ـ أنا ..... (جاكسون) ..

ثم سقط الرجل على الأرض فاقد الرشد .. فهتف (ستون) ثانية :

ـ علىّ اللعنة !

★ ★ ★

بصعوبة تمكنوا من رفع الرجل إلى الطائرة باستعمال (الونش) ، ثم ـ أخيرًا ـ تمكن (ستون) من الصعود إلى متنها ..

ـ من هذا ؟

ـ رجلنا التائه الذى ظهر فى صورة الأشعة تحت الحمراء ..

ولم ينتزع العالمان ثيابهما .. بل قام كل منهما باستخدام مستودع ثان للأكسجين ، يكفيهما حتى الوصول إلى (وايلدفاير) ..

ثم إن الربان فتح الاتصال مع الميجور (مانتشيك) فى (فاندنبرج) :

ـ حسن .. ماذا وجدتما ؟

قال (ستون) :

ـ البلدة بلدة موتى ..

ـ خذ الحذر .. إن الدائرة مفتوحة ..

ـ ليكن .. هل لك أن تطلب ٧ ـ ١٢ ؟

ـ الآن ؟

ـ نعم ..

ـ (بيدمونت) ؟

ـ نعم ..

ـ ليكن .. سأصدر الأمر الآن ..

★ ★ ★

٨ ـ التوجيه ٧ ـ ١٢ ..

التوجيه (٧ ـ ١٢) هو جزء من بروتوكول مشروع (وايلدفاير) ، عند حدوث كارثة بيولوجية .. وبمقتضاه يتم وضع سلاح نووى محدود فى مكان حدوث تلوث فضائى .. وشفرة التوجيه هى (كىّ) .. أى أن المقصود من القنبلة النووية هو كىّ العدوى ومنعها من الانتشار ..

وكان كثير من الجدل قد أثير حول هذه الخطوة ، وبصعوبة وافق الرئيس الأمريكى على قبولها ، بشرط أن تتم بأمره هو شخصيًا ..

وكان معهد (هدسون) قد قام بدراسة خطوة (الكىّ) ، وحددوا أربعة مواقف ، قد يكون فيها اللجوء إلى الكىّ ضروريًا ..

١ ـ قمر صناعى يهبط فى منطقة غير مأهولة .. لن يكون هناك خطر من الكىّ ، بعد إبلاغ السوفيت بأسباب خرق معاهدة (موسكو) ١٩٦٣ ، بصدد تحريم التجارب النووية فوق الأرض .

٢ ـ قمر صناعى يهبط فوق مدينة أمريكية كبرى : ستكون كارثة تودى بقطاع سكانى كبير .



بصعوبة تمكنوا من رفع الرجل إلى الطائرة باستعمال (الونش) ..

٣ ـ قمر صناعى يهبط فوق مدينة محايدة (مثل نيودلهى): لو تدخلت الحكومة الأمريكية بإجراء (الكىّ) ستكون الحرب العالمية أكيدة .

٤ ـ قمر صناعى يهبط فوق مدينة سوفيتية كبرى : يجب إقناع الروس بإجراء (الكىّ) على مدينتهم بأنفسهم وهذا مستحيل .

على العموم ـ فى حالتنا هذه ـ وافق الرئيس الأمريكى على تأجيل عملية (الكىّ) لمدة ثمان وأربعين ساعة ..

ثم إنه استدعى الحرس الوطنى ليقوم بتطويق (بيدمونت) بدائرة قطرها مائة ميل ...

وطفق ينتظر ما تسفر عنه الأحداث ..

★ ★ ★

٩ ـ فلاتروك ..

جلس (مارك هول) فى مقعده بالمقاتلة (إف ـ ١٠٤) يطالع ـ من فوق قناع الأكسجين ـ ذلك الملف الذى أعطوه إياه قبل ركوب الطائرة .. لكن فتح الملف كان عسيرًا فى هذه الطائرة الضيقة التى لم تخلق للقراءة ..

وايلد فاير

هذا الملف مصنف سرىّ للغاية

وقراءته بوساطة الأشخاص غير المرخص لهم

جريمة يُعاقب عليها بالسجن فترة لا تزيد على ٢٠ عامًا

وغرامة لا تزيد على ٢٠٠٠٠ دولار

كان الملف مكونًا من ٢٧٤ صفحة كلها غير مفهومة ، وملأى بتفاصيل عن إنشاء المشروع ومقتضياته وبروتوكول التعقيم ..

وبعد قليل وصل صوت الربان إلى سمعه ، يقول له إنهم قد وصلوا إلى وجهتهم وسيهبطون بعد أربع دقائق .. إلى (فلاتروك) بـ (نيفادا) ..

وكانت (نيفادا) ـ الولاية الفضية ـ هى أنسب الولايات لمشروع (وايلدفاير) .. فهى سابعة الولايات من حيث المساحة .. لكنها التاسعة والأربعون من حيث تعداد السكان ، أى أنها أقل الولايات كثافة سكانية بعد (ألاسكا) ..

بالتالى هى صالحة تمامًا لمشاريع (البنتاجون) السرية ..

وما أكثر هذه المشاريع فى (نيفادا) ..!

★ ★ ★

١٠ ـ المرحلة (١) ..

كان الطقس حارًا للغاية .. حتى أن (الأسفلت) كان لينًا تحت قدمى (هول) ، إذ مشى إلى الكوخ الموجود فى نهاية ممر الطيران .. وخطر له أن هذا المطار ـ حتمًا ـ مصمم للطيران الليلى ، حين يكون الأسفلت باردًا صلبًا ..

واصطحبه (ليفيت) إلى سيارة جيش زرقاء اللون ، خالية من أية إشارات إلى سلاحها ..، وجلس (ليفيت) خلف عجلة القيادة ، ودعا (مارك هول) إلى الركوب ..

وانطلقت السيارة فى الصحراء المقفرة ، تلتمع تلالها الزرقاء فى ضوء الشمس الحارق .. وكان الطريق مغبرًا يوحى بقلة الاستعمال ..

ذكر (هول) الملحوظة الأخيرة لصديقه ، فقال له :

ـ للتمويه فقط .. نحن نقضى الوقت فى تعفير هذا الطريق بالغبار .. فلو أن أحدًا رأى آثار المعدات العسكرية الثقيلة التى تمرّ عليه يوميًا ، لتساءل أسئلة لا نريدها أبدًا .

لم يكن (هول) يعلم أن هناك أداة للتدمير النووى الذاتى .. وقد أثارت جدلًا شديدًا فى وزارة الدفاع ، لأن (ستون) أصرّ على أن تكون هذه الأداة تحت سيطرة العلماء .. لكن وزارة الدفاع لم تعتد أن تترك أسلحة نووية فى يد أفراد ..، وبعد لأى نجح (ستون) فى إقناعهم ـ بأنه لو حدث تلوث ـ فلن

يكون ثمة وقت كاف لأخذ رأى (واشنطن) بصدد التدمير للمشروع ..

قال (هول) :

ـ قرأت شيئًا عن (فرض الرجل المتفرّد) فى ملف المشروع .. لكن الصفحة التى تفسر ما هو كانت منتزعة .

ـ أعرف .. سنناقش هذا فيما بعد ..

★ ★ ★

كان الغبار يتصاعد إلى العيون ، فرفعا زجاج السيارة ، وأشعل (هول) لفافة تبغ .. فقال له (ليفيت) :

ـ هذه هى الأخيرة ..

ـ أعرف .. إذن دعنى أستمتع بها أرجوك ..

ولمحا لافتة تعيسة أفسدتها تغيرات الطقس تنذرهما بأن يبتعدا ؛ لأن هذه أملاك حكومية .. لكن لاحراس ولاسور ولاكلاب ..

ـ إجراءات أمنية عظيمة حقًا ..

ـ هذا لعدم إثارة الشكوك .. الواقع أن الأمن هنا أفضل مما يخطر لك ..

وبالفعل .. وصلا إلى سور عال من السلك الشائك ، يحيط بمبنى خشبى وحقل من القمح .. قمح ؟ .. فى هذا المكان ؟ .. نعم .. إن اللافتة بالخارج تقول (إدارة الزراعة ـ محطة

تجارب استصلاح الصحراء) .. وفتح لهما الباب حارس متراخ يلتهم شطيرة فى يده اليمنى .. ودعاهما إلى الدخول ..

وفى المبنى الداخلى ، كان هناك رجل آخر جالسًا على مكتب ، يلتهم شطيرة هو الآخر ، حياهما وتبادل هذه المحادثة الغريبة مع (ليفيت) :

ـ هل من مساعدة يا (جدعان) ؟

ـ كنا نمر ذاهبين إلى (روما)

ـ هل لديكما وقت كاف ؟

ـ ساعتى تعطلت أمس ..

ـ اللعنة على الساعات !

ـ الحرّ هو السبب ..

ونهض الرجل وهما يسيران وراءه ، ماشين فى ردهة ملأى برجال منهمكين فى العمل ، بين لافتات تقول : (حضانة البذور) ـ (ضبط الرطوبة) ـ (تحليل التربة) .. إلخ ..

وانتهى بهما المسار إلى غرفة كتب عليها (مخزن) .. دخلاه ، فشعرا بالأرض تهبط تحت أقدامهما ..

بعد ثوان وجدا أنفسهما فى غرفة عارية من الأثاث ، تضيئها أضواء النيون بلون أبيض بارد .. وفى ركن المكان كان هناك صندوق أعلاه مضىء بلون أخضر ..

قال (ليفيت) :

ـ هذا هو المحلّل .. ضع كفك على الزجاج ..

انصاع (هول) للأمر .. شعر بتنميل فى أنامله ، وأزّ الجهاز .. ثم جاء دور (ليفيت) .. بعدها أشار هذا الأخير إلى باب جانبى :

ـ « الآن ندخل (وايلدفاير) .. لقد مرت بصماتنا بمحلّل إلكترونى قادر على قراءة عشرة آلاف بصمة ، يقارنها بما فى ذاكرة الكمبيوتر ، ليرى إن كان مسموحًا لنا بالدخول » ..

ودخلا من الباب الذى انغلق وراءهما .. ثم دخلا غرفة أخرى بها حارس أمن ، يجلس أمام شاشات الرادار ، وأجهزة استشعار قادرة على الإحساس بأى جسم يقترب من القاعدة ، وزنه أكثر من مائة رطل .. أما الأسوأ فهو .....

تسعة كلاب رعى ألمانية فى أقفاصها ، تنبح ـ دون صوت ـ فى وجه الزائرين .. أثار عواؤها الصامت ذهول (هول) ..

قال الحارس وقد رأى دهشته :

ـ تم تدريب هذه الكلاب فى الجيش على الشراسة .. إنها خطرة كالشيطان ، وقد تم استئصال حناجرها لتقتل دون ضوضاء .

ـ وهل ... لجأتم إليها من قبل ؟

ـ لا .. وأحمد الله على هذا ..

★ ★ ★

وفى غرفة جانبية استبدل العالمان ثيابهما بزىّ من قطعة واحدة .. مطاط وردى اللون .. ونزع كل منهما ماكان يرتديه من ثياب ..

واجتازا ممرًا قصيرًا حين دوّى صوت جرس إنذار ، وفوجئا بباب حديدى ينزل أمامهما ليسدّ الطريق ، وشرع مصباح فى السقف يضىء بشكل متقطع .. فيما بعد تذكر (هول) أن (ليفيت) تحاشى النظر إلى الضوء .. وسأله :

ـ ثمة خطأ ما .. هل انتزعت خاتمك وساعتك ؟

وهنا أدرك (هول) أنه نسى الساعة فى معصمه . فعاد لينزعها ويضعها فى حاجياته .. وفى هذه المرة انفتح الباب ..

ورأيا لافتة تقول :

أنت الآن تعبر المستوى (١)

اتجه مباشرة إلى غرفة التحصين .

كانت الحوائط حمراء تمامًا .. ومن (ليفيت) عرف (هول) أن كل مستوى له لون خاص .. المستوى (١) أحمر .. و (٢) أبيض .. و (٣) أصفر .. و (٤) أخضر .. و (٥) أزرق ..

ـ هل هناك سبب لهذا ؟

ـ قامت البحرية منذ أعوام بدراسة لتأثير ألوان البيئة

على نفسية العاملين .. ويبدو أنها استعملت هذا المبنى لإجراء الدراسة ..

ووصلا إلى ثلاث غرف زجاجية .. فدعاه (ليفيت) إلى أن يدخل واحدة منها .. دخل (هول) غرفة منها فانغلق الباب خلفه ، وعلى شاشة أمامه رأى عدة نقاط مضيئة .. وسمع صوتًا آليًا يردد :

- اجلس .. اجلس ..

فانصاع (هول) للأمر وجلس على أريكة هناك ..

- حرك جسدك إلى أن تنطفئ كل النقاط على الشاشة أمامك ..

وهنا فهم (هول) الأمر .. أن بقع الشاشة تمثل جسد إنسان .. شرع يتحرك حتى اختفت النقاط كلها ، وسمع الصوت يقول :

- قل اسمك .. اسم العائلة أولاً واسمك الأول أخيرًا .

- (مارك هول) ..

رأى (هول) على الشاشة عبارة تقول :

الموضوع قد أعطى إجابة غير قابلة للتشفير

تدارك خطأه وذكر اسمه (هول مارك) كما طلب الصوت .

- شكرًا على تعاونك .. أرجو أن تغنى (مارى عندها حمل صغير) !

الموضوع قد أعطى إجابة غير قابلة للتشفير

شعر (مارك) بالحماقة ، لكنه مرغمًا راح يدندن أغنية الأطفال :

- مارى عندها حمل صغير .. فراؤه أبيض كالثلج .. وفى كل مكان تذهب إليه (مارى) لابد وأن يتبعها الحمل(*) .

ساد الصمت ، ثم - مرة أخرى - شكره الصوت على تعاونه و ...

محلل الصوت أثبت شخصية الموضوع
هـول ، مـارك

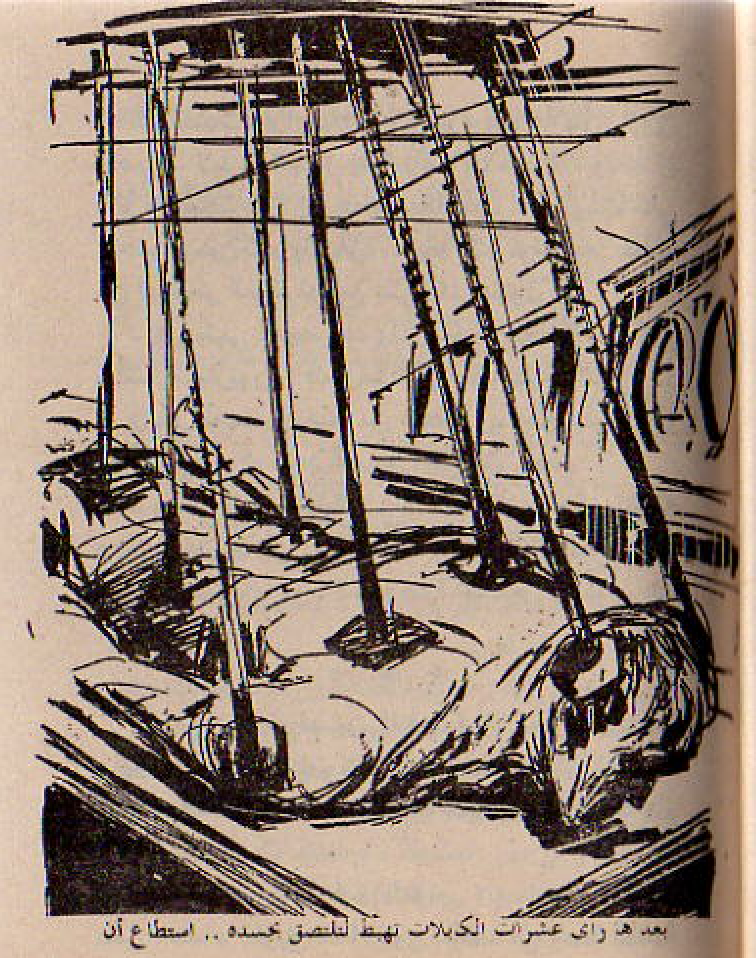
- « ستجيب عن هذه الأسئلة بنعم أو لا .. هل تلقيت تطعيم جدرى خلال العشر سنوات الماضية ؟ »

- « لا .. » .

- « دفتريا ؟ » .

- « نعم .. » .

(★) جدير بالذكر أن هذه الأغنية هى أول ما تم تسجيله على أسطوانة (فونوغراف) فى التاريخ ، ويبدو أن (كرشتون) يشير إلى هذا ..



بعد هذا رأى عشرات الكابلات تهبط لتلتصق بجسده .. استطاع أن يفهم الغرض من بعضها ..

وتوالت الأسئلة عن التيتانوس والحمى الصفراء والطاعون والكوليرا والدرن والزهرى والفطريات والفيروسات .. وهل عنده حساسية لشىء معين ؟..

ثم .....

ـ انزع ثيابك تمامًا وعُد للجلوس على الأريكة ، بحيث تنطفئ النقاط .

فعلها .. ورأى مصباح أشعة فوق بنفسجية يتحرك فوق جسده .. نظر إلى الشاشة فرأى صورة بالكمبيوتر للمسح بادئًا بأصابع قدميه .

ـ هذا مسح للفطريات .. والآن ارقد على بطنك لنواصل المسح ..

بعد هذا رأى عشرات الكابلات تهبط لتلتصق بجسده .. استطاع أن يفهم الغرض من بعضها .. فالأقطاب الستة على صدره هى حتمًا لرسم القلب الكهربائى ، والواحد والعشرون على دماغه ، هى لرسم المخ .. لكنه لم يدرك الغرض من الباقين ..

ـ ضع يدك على اللوح الموجود يسارًا .. ستشعر بوخزة ، إذ تخترق الإبرة عروقك .

حقنة وريدية بالكمبيوتر ؟.. مستحيل !.. كيف يستطيعون هذا ؟..

نظر للشاشة فرأى يده وعروقها مصبوغة بلون أزرق واضح .. لابد أن الجهاز يعمل باقتفاء الحرارة .. ولابد أن الإبرة ستبحث عن الوريد بوساطة حرارته .. أوشك على الاحتجاج حين شعر بالوخزة .. وبعد عشر ثوان شعر بقطعة من البلاستر المعقم توضع على مكان دخول الإبرة ..

ـ هذا ينهى الفحص .. والآن قف وكتفك الأيمن أمام شاشة التليفزيون .. فلسوف تتلقى حقنًا بضغط الهواء ..

وشعر بمسدس يهبط من الجدار ويلتصق بذراعه .. الألم لثانية .. ثم صعد المسدس إلى أعلى ببطء ..

ـ يمكنك ارتداء ثيابك .. لقد طعّمناك بطعون منشطة وجلوبيولين مناعى .. إذا شعرت بدوار يمكنك الجلوس .. أبلغ أية حمى أو قىء إلى وحدة التحكم .. انتهى هذا التسجيل الآن ..

★ ★ ★

وفى الدهشة عرف من (ليفيت) أن جهازًا كهذا هو ما يجرون به الفحوص على رواد الفضاء، وأن الحكومة الأمريكية سمحت به للمستشفيات الكبرى .. ولكن بعد عام ١٩٧١

ودلفا من باب كتب عليه (المؤتمر ٧) ، ليجدوا بالداخل باقى أعضاء الفريق .. (ستون) يقف فى وسط القاعة

متوترًا كأنما خرج من تحت (دوش) بارد .. وجواره يجلس (بيرتون) بادى الإرهاق ..

بعدما تبادلوا التحيات ؛ ناول (ستون) مفتاحًا أحمر اللون لـ (هول) وأمره أن يضعه حول عنقه ..

ـ مفتاح ماذا ؟

قال (ليفيت) فى كياسة :

ـ إن (هول) لايدرى شيئـًا عن (فرض الرجل المتفرّد) .

نظر له (ستون) فى شىء من الحيرة .. ثم تساءل :

ـ ألم يقل لك أحد إن سبب اختيارك هو أنك عزب ؟

تساءل (هول) وهو يرمق المفتاح مقطبًا :

ـ وما معنى هذا ؟

ـ معناه أنك أنت الرجل المتفرّد .. أنت مفتاح الموضوع كله دون بلاغة لغوية !

واتجه إلى ركن الحجرة فضغط زرًا .. انفتح باب دسّ فيه مفتاحًا فضيًا فأضاءت اللوحة كلها بلون أخضر :

ـ فى الطابق السفلى لهذا المعمل ، توجد أداة تدمير ذاتى ذرية .. وقد قمت الآن بوضعها فى حالة استعداد .. بعد هذا يأتى دور مفتاحك ، وعندئذ يكون أمامنا ثلاث دقائق قبل الانفجار .. وغرض هذا التأخير هو إعطاؤك فرصة لمراجعة الموقف ونزع المفتاح .

تساءل (هول) فى حيرة :

ـ ولماذا أنا ؟

ـ لأنك غير متزوج .. اقرأ هذا التقرير ولسوف تفهم أكثر ..

كان التقرير المعنى صادرًا من معهد (هدسون) .. وكان يقيس كفاءة الأشخاص على اتخاذ قرارات صائبة ..، ومنه يتضح أن الرجال المتزوجين ، أقل قدرة على الحكم الصائب من غير المتزوجين ..، وبتطبيق هذه القواعد المعقدة على العلماء الخمسة ، يتضح أن مؤشر الكفاءة فى أقل درجاته مع (بيرتون) و (ليفيت) ، بينما يصل الذروة مع (هول) ..، ومن هذا تتبين فرضية الرجل المتفرّد .. الرجل غير المتزوج الذى سيتخذ القرار النووى ..

ـ وهل تتوقعون منى أن أضع المفتاح وأفجر هذا الشىء ؟

قال (ستون) :

ـ أنت لا تفهم .. إن نظام التفجير أتوماتيكى تمامًا ، يبدأ مع حدوث تسرب للجراثيم .. ويحدث خلال ثلاث دقائق ما لم تعطله أنت بمفتاحك .

ـ فهمت ....

قالها ، وازداد قلقًا ....

★ ★ ★

١١ ـ التطهير ..

قال (ستون) وقد سمع صوت جرس يدق :

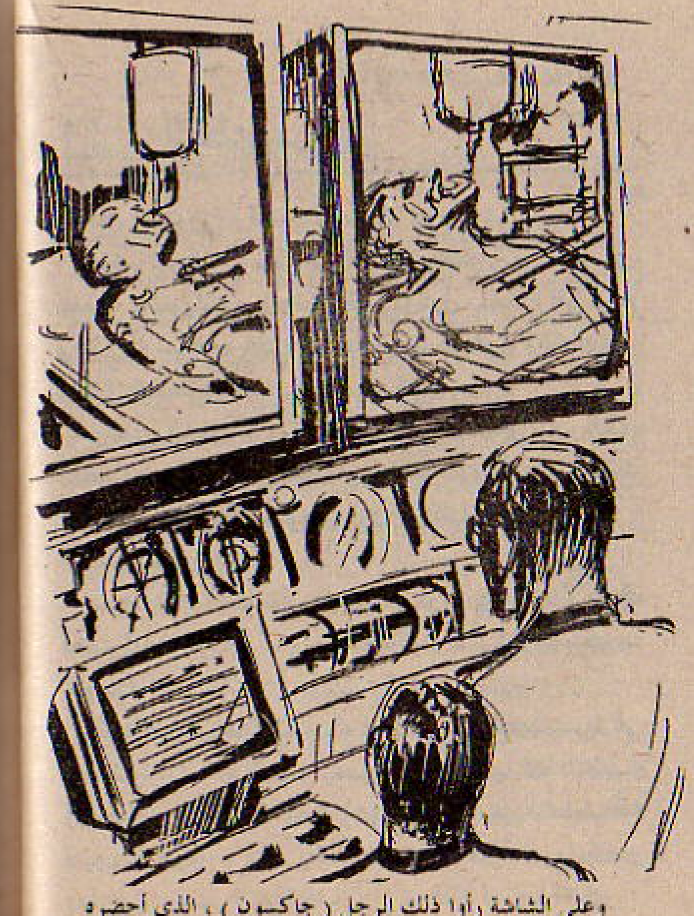
ـ كما تعرفون ، نحن فى المستوى العلوى من مبنى ذى خمسة مستويات .. وحسب البروتوكول ، نحتاج إلى أربع وعشرين ساعة ، حتى نمر بعمليات التعقيم والتطهير ، ونصل للمستوى السفلى .. يجب البدء حالًا .

وعلى الشاشة رأوا ذلك الرجل (جاكسون) ، الذى أحضره (ستون) من البلدة .. وكذلك الرضيع ..، وكانت المحاليل الوريدية تتدفق إلى عروق كليهما ..

قال (ستون) :

ـ هذان هما الناجيان الوحيدان من (بيدمونت) ، وقد أحضرناهما إلى هنا .. إن البلدة ستدمر ـ أو دمرت ـ حسب التوجيه ٧ ـ ١٢

ثم حكى لباقى العلماء مغامرته القصيرة فى (بيدمونت) .. واتجهوا جميعًا إلى باب كتب عليه (المستوى [٢]) .. لاحظ (هول) ـ فى خيبة أمل ـ أنه لايوجد حرس ، ولم يُعط أحدهم بطاقة تعريف أو (بادج) .. صارح بهذا (ستون) .. فقال له هذا الأخير :



وعلى الشاشة رأوا ذلك الرجل (جاكسون) ، الذى أحضره (سعون) من البلدة .. وكذلك الرضيع ..

ـ صحيح .. نحن قررنا الاستغناء عن (البادجات) هنا ، فهى صعبة التعقيم .. دائمًا ما تكون من البلاستيك وتذيبها الحرارة .

وبدأت رحلة العذاب لكل منهم .. غرف مبطنة بالقيشانى يخلعون الثياب فيها ، فيمر شعاع ضوء باهر خلال هذه الثياب ..

بعد هذا غرفة من البخار الحارّ ذى الرائحة المطهرة .. ثم غرفة بها بانيو ملىء بسائل مطهر كتب عليها (ضع قدميك فقط، حاول ألا يمس السائل عينيك) .. لم يستطع (هول) معرفة كُنه هذا السائل، لكنه كان زلقًا مما يدل على أنه قلوى، وعرف من (ليفيت) أنه (ألفاكلوروفين) .

قال (ليفيت) :

ـ إن المشكلة التى واجهتنا .. هى كيف نعقم الجسد البشرى ـ أقذر شىء فى الكون كله ـ دون قتل البشرى ذاته !

بحث (هول) عن منشفة فلم يجد واحدة ، إلا أنه فى الغرفة التالية وجد هواءً ساخنًا ينبعث من السقف .. ، على حين انبعثت من الجدران الجانبية حزم من الأشعة فوق البنفسجية ، مُغرقة الغرفة فى ضوء أرجوانى ساطع ..

ثم جاء دور الغرفة الأخيرة ، التى تحوى ثيابًا هى أقرب لما يرتديه الجراحون .. صفراء اللون مريحة إلى حدّ كبير ..

ومن هناك خرجوا إلى المصعد الذى قادهم إلى المستوى (٢) ذى الجدران الصفراء اللون .. ووجدوا أنفسهم فى غرفة صغيرة ، بها نصف دستة من الأرائك ، فأشار لهم (ستون) كى يسترخوا عليها قائلًا :

إنهم لفى حاجة إلى أقصى راحة قبل أن يواصلوا الرحلة .. ودون كلمة أخرى تمدد على الأريكة ونام .. وهى موهبة أخرى من مواهبه العديدة : سرقة ساعات النوم فى أوقات الانتظار ..

وبدأت مرحلة التعقيم الثانية بحرق الثياب التى يرتدونها .. الثياب التى ارتدوها منذ ساعة واحدة .. ، بعدها كان عليهم قطع مسافة تحت الماء وعيونهم مفتوحة .. وعرف (هول) أن هذا الماء هو محلول مطهر .. ، بعد ذلك أدخلوا إلى كبائن تشبه كبائن الهاتف مع رسالة تقول :

«أبعد ذراعيك عن جسدك ، وباعد قدمًا ما بين ساقيك .. لا تفتح عينيك حتى يصدر صوت الأزيز ، الإشعاع طويل الموجه قد يسبب العمى ! » .

أغمض (هول) عينيه وشعر بشىء يحرق جسده .. حين سمع الأزيز فتحهما .. وخرج ليمر تحت أكثر من (دوش) مطهر .. وفى النهاية وجد ثيابًا جديدة تنتظره .. لونها أبيض هذه المرة ..

والآن إلى المرحلة (٣) .. حيث تصطحبهم ممرضات إلى غرف فحص .. والفحص هذه المرة ، يجريه طبيب شاب مسطح الوجه لمدة ساعتين .. وفكر (هول) فى ضيق أنه كان يفضل الآلة ..

لم يترك الفحص ذرة واحدة فى جسده ، حتى كاد يتميز غيظًا ..

بعد هذا جاء المستوى (٤) .. مزيد من أحواض الغمر المطهرة والإشعاعات والموجات فوق الصوتية ، ثم مكعب من الصلب فوقة خوذة ولافتة تقول :

« ارتد الخوذة لحماية الوجه والعينين ، ثم اضغط الزر » ..

جرّب (هول) التعليمات ، ففوجئ بحرارة قاتلة تجتاح جسده .. لحظة خاطفة .. وحين انتزع الخوذة أخيرًا وجد أن جسده مغطى برماد أبيض دقيق ... إذن لقد حرقت الآلة اللعينة الطبقات السطحية من جسده !..

وبعد دوش سريع ، وجد الثياب تنتظره كالعادة .. ولونها فى هذه المرة أخضر ..

ثم جاءت مرحلة العينات : عينة من كل شىء يستطيع الشيطان أن يفكر فيه : بول - براز - بلغم - دم - إلخ ..

كان مرهقًا ، وبدأ يشعر بفقدان الاتزان .. التكرار .. التكرار .. كم هو متعب ! وحين لحق برفاقه أخيرًا وجد (ستون) يقول له :

ـ أمامنا ست ساعات هنا حتــى ينتهــوا من كل التحاليل .. يمكننا النوم ... ولسوف نلتقى فى (الكافتريا) بعد خمس ساعات ، لعقد مؤتمر صغير اتفقنا ؟.

وأشار إلى حجرات جانبية كتب على كل منها اسم واحد منهم ، حيث يمكنهم النوم على أسرة مريحة برغم كل شىء .. وهكذا غرق العلماء المرهقون فى نعاس طويل ..

* * *

اليوم الثالث



١٢ ـ المؤتمر ..

« حان وقت الاستيقاظ يا سيدى » .

فتح (هول) عينيه .. كان هناك ضوء نيون شاحب يغمر الغرفة ..

« حان وقت الاستيقاظ يا سيدى » .

كان صوتًا أنثويًا ناعمًا .. جلس على الفراش وتأكد أنه وحيد ..

ـ من أنت ؟

ـ حان وقت الاستيقاظ يا سيدى .

نهض مرغمًا ، وارتدى ثيابه متسائلًا عن كيفية عمل هذا الصوت .. ليس هذا مجرد شريط تسجيل ، لأنه يستجيب للمتغيرات .. فالرسالة لاتتردد إلا حين يتكلم هو .. قال :

ـ أريد معرفة اسمك ! .

ـ هل هذا كل شيء يا سيدى ؟

ثم سمع صوت رجل غليظ يهدر :

ـ هنا خدمة الإجابة على الأسئلة .. كنا نرجو أن تتعامل مع المشروع بجدية أكبر يا د . (هول) !.

ضحك (هول) وغمغم :

ـ معذرة .. لقد كان صوتها لذيذًا ..

ـ الصوت هو صوت مس (جلاديس ستيفنز) ، تعيش فى (أوماها) ، وتكسب رزقها من تسجيل الرسائل الصوتية ، للمشاريع المعتمدة على الصوت الصناعى .. عمرها ثلاثة وستون عامًا !.

ـ اللعنة !.

وغادر الغرفة باحثًا عن (الكافتريا) ، وسط الممرات التى جعلته يدرك ، لماذا قام بتصميم المبنى مصممو غواصات .. أخيرًا وجدها .. ووجد بداخلها (ليفيت) ، عاكفًا على احتساء المشروب (٤٠ـ٢ـ٥) ، وهو مشروب صناعى يشبه عصير البرتقال ، يحوى كل ما يحتاج إليه رجل يزن سبعين كيلوجرامًا ، كى يظل حيًا عشر ساعات ..

المشكلة هى أن المشروب لم يكن يحوى سكرًا ..

قال (ليفيت) مفسرًا :

ـ ممنوع وجود السكرّها هنا .. ولا أى شىء يمكن أن يشجع نمو الباكتريا .. سنستخلص كل حاجتنا إلى السكر من البروتين الذى نأكله .. لن يدخل سكر إلى أمعائنا .. بل العكس .... !

وفوجئ (هول) به يقدم له شيئًا ملفوفًا فى قمع من الألومنيوم ..

ـ لا !.

ـ هذا ضرورى .. ادخل حجرتك واستعملها ، لتطهر الأمعاء قبل أن نستكمل إجراءات التعقيم !.

ـ فلتحل علىّ اللعنة لو أننى .....

ـ لقد طهرّنا جلدك وأغشيتك المخاطية .. بقى جهازك الهضمى ...

ثم ابتسم بسمته المكتئبة الشهيرة .. وأردف :

ـ والآن .. هلم بنا .. إن (ستون) يريد الحديث عن (كارب) .

ـ ومن هو ؟

★ ★ ★

(رودلف كارب) .. عالم الكيمياء الحيوية المجرى ، الذى هاجر إلى الولايات المتحدة منذ عام ١٩٥١ .. والتحق بجامعة (متشيجان) كأستاذ ، ثم عكف على دراسة النيازك .. كان يأمل أن يجد فيها ما يدلّ على وجود حياة فضائية ، كانت هناك منافسة رهيبة فى هذا الصدد ، وكلما أعلن عالم أنه وجد جزىء هيدروكاربون ، فى شهاب أو نيزك ، كان يُتهم بأنه أحدث تلوثًا عمديًا أو غير

عدمىّ، فى العينات التى فحصها .. وكان (كارب) حذرًا دقيقًا .. وراعى أشد درجات التعقيم فى بحوثه .. وبهذا كان واثقًا من نتائجه، حين استطاع عزل الباكتريا .. باكتريا حلقية الشكل ، تتمتع بكل خواص الباكتريا الأرضية عدا النواة .. من ثم فطريقة تكاثرها مازالت غامضة ..

مع الوقت نسى الناس أبحاث (كارب) ، لكن اثنين ظلا يتذكرانها ، هما : (جيريمى ستون) و (ليفيت) ..، وقد وصف (ليفيت) ما حدث بالقاعدة (٤٨) الخاصة به ، والتى تقول : كل العلماء عميان !.

وسرّ هذه القاعدة (٤٨) يعود إلى مازعمه العلماء قديمًا ، من أن الإنسان يملك ٤٨ كروموسومًا فى نواته ، وكان عدد الكروموسومات فى كل الصور هو ٤٨ ، وفى عام ١٩٥٣ قال فريـــق من العلمـــاء ، إن عدد الكروموسومات هو ٤٦ .. وعاد بعض العلماء إلى الصور القديمة ليعدوا كروموسوماتها ، فوجدوها ـ بالفعل ـ ٤٦ كروموسومًا !..

كل العلماء عميان حسب القاعدة (٤٨) ..

ولم يكن (ليفيت) يعلم أن هذه القاعدة تنطبق عليه وعلى زملائه ، قبل أن تنطبق على غيرهم ...

★ ★ ★

ناول (ستون) زملاءه ملفات ، تحوى كل تفاصيل رحلة القذيفة المكوكية .. ليدرسوها ، ويحاولوا معرفة موضع الخطأ فى هذه الرحلة .. ولفت نظرهم إلى أن هناك العديد من الأقمار الصناعية فى ذات المدار حول الأرض .. لقد سجلت أجهزة الرادار الأمريكية ، حوالى خمسمائة وسبعة وثمانين جسمًا يدور حول الأرض .. بعضها أقمار صناعية قديمة غير عاملة ، من مجموعة (اكسبلورر) الأمريكية القديمة ، ومجموعة (سبوتنيك) الروسية ..، وبعضها مراحل منفصلة من صواريخ .. وبعضها مسامير وصواميل .. الخلاصة أن هناك مخزنًا للخردة حقيقيًا يدور حول الأرض ..، والاحتمال الوارد هو أن شيئًا ما قد اصطدم بالقذيفة المكوكية ، مما جعلها تغير مدارها ..

وهنا سمعوا دقة جرس .. ثم الصوت الأنثوى الذى عرفوا أنه صوت (جلاديس ستيفنز) من (أوماها)، يقول :

ـ يمكنكم الانتقال إلى المستوى التالى يا سادة .

★ ★ ★

١٢ ـ المســــتوى (٥) ..

اللون الأزرق هو ما يغمر المستوى الخامس .. والأزياء كلها زرقاء ..

ـ « نفس التصميم » ـ قال (بيرتون) ـ : دائرة لها عدة محيطات .. نحن فى المحيط الخارجـى الآن .. وبالداخل قليلًا نجد المعامل .. ثم بالداخل أكثر ، نجد القلب المركزى ، حيث أسلاك الكهرباء والسباكة ، وحيث تجد الآن المقذوف والمريضين من (بيدمونت) .

ـ وكيف نصل إلى المريضين إذن ؟.

ـ باستعمال صندوق القفازات .. توجد فتحتان فى الجدار ، كلّ ما عليك هو أن تزجّ بذراعيك فيهما ، لتدخلا إلى قفازين على الجانب الآخر حيث المريض ... ونحن فعلنا ما هو أوسع من هذا .. وبدلًا من وضع يديك فى قفاز ، تضع جسدك كله فى بذلة عازلة .

كانت هناك غرفة مكتوب عليها (التحكم المركزى) .. رأى (هول) العالمين (ستون) و (ليفيت) يقفان هناك ، يضغطان أزرارًا ، وعبر جدار زجاجى ، رأى القذيفة

تتعامل معها يد ميكانيكية عملاقة .. لم يكن قد رأى قمرًا صناعيًا من قبل ، ولم يتصور أنه صغير إلى هذا الحد .. وعليه علامات احتراق من الغلاف الجوى ..

ورأى (هول) اليد الميكانيكية تفتح القمر ببراعة ، كاشفة عن قلبه ..

ثم إن (ستون) طلب فأرًا نرويجيًا أسود ، يدخله إلى الحجرة الزجاجية ، لمعرفة ما إذا كان التلوث مازال موجودًا ، وهذا الفأر ليس نرويجيًا ولا أسود .. لقد حولته التجارب الوراثية إلى جيل أبيض ، دقيق الحجم وديع الطباع ..

ـ أدخلوا بعده قردًا من نوع (الريزاس) .

ومن المعروف أن هذه القرود مفضلة فى المعامل ، لقربها من الإنسان تشريحيًا ... وقد نجحت فى استبدال الغوريللا التى كانت تستعمل فى الخمسينات ، وهى ـ بالطبع ـ باهظة الثمن وخطرة ، بل وقادرة على تحطيم أعناق فريق من العلماء ... والمعروف كذلك أن الخنزير مناسب أكثر من القرود ، لدراسات القلب والجهاز الدورى . أما خنازير (غينيا) فمناسبة لدراسات المناعة ..

وأمام عينى (هول) المنبهرتين ، رأى اليد الميكانيكية تحمل قفصًا به فأر صغير ، وتضعه جوار القمر الصناعى... وفى اللحظة التالية تشمم الفأر الهواء ... تقلص عنقه . ثم هوى على جانبه ومات !

ـ ياللبشاعة !.. بهذه السرعة ؟ .

بعد هذا جاء دور القرد فى قفصه .. صرخ القرد بصوت رفيع ، وراح يضرب بقبضته على جدران القفص .. ثم هوى على الأرض وعلى وجهه علامات الذهول ..

هزّ (ستون) رأسه وغمغم :

ـ على كل حال نحن نعرف الآن ، أن ما قتل الناس فى (بيدمونت) مازال حيًا ونشطًا ..

قال (بيرتون) وهو مازال مضطربًا :

ـ سآخذ هذين الحيوانين ، وأجرى الصفة التشريحية عليهما .

ضغط (ستون) على زرّ مكتوب عليه (تشريح) .. فامتدت اليد الميكانيكية ترفع القفصين ، وتضع كلًا منهما على حزام ناقل فى مؤخرة الحجرة .. وانزلق القفصان إلى الخارج .. إلى غرفة التشريح ..

قال (ستون) لـ (هول) :

ـ أنت الوحيد بيننا الذى يمارس الفحص الإكلينيكى .. أخشى أن مهمة عسيرة تنتظرك .

ـ طبيب أطفال وطبيب شيوخ ؟.

ـ بالفعل .. لنر كيف يمكنك مساعدة المريضين فى غرفتهما .. ثمة جهاز كمبيوتر هناك ، ولسوف يشرح لك الفنى كيف تستعمله .

* * *

١٤ ـ أشياء عـــدة ..

كانت غرفة زجاجية بها فراشان .. على أحدهما رقد الرضيع ، وعلى الآخر رقد العجوز (بيتر جاكسون) ... أما أغرب ما فى المشهد ، فهو أربع بذلات مطاطية ، معلقة من السقف ، ومن كل بذلة يمتد نفق إلى الحائط ..

تأمل (هول) كل هذا فى انبهار ..

من الواضح إذن ، أن على المرء دخول النفق ، ليجد نفسه داخل البذلة ، وبعدها يمكنك التعامل مع المريض ..

وعرفته الفنيّة نفسها .. اسمها (كارين أنسون) .. وقالت له إن جهاز الكمبيوتر الذى تعمل عليه ، هو نهاية طرفية للكمبيوتر العملاق ، الذى يدير مشروع (وايلدفاير) ، أى أن ثلاثين شخصًا يمكن أن يعملوا على ذات الكمبيوتر ، فى ذات الوقت .. ويسمى هذا بمبدأ (مشاركة الوقت) .. فالكمبيوتر سريع جدًا بينما البشر شديدو البطء ، وهذا يعنى أن الكمبيوتر يقضى أغلب وقته ـ بين أمر وآخر ـ بلا عمل تقريبًا .. ولكن حين يعمل أكثر من شخص على ذات الكمبيوتر ، تكون الاستفادة القصوى من إمكاناته ..

ـ هذا البرنامج يُدعى (ميدكوم) .. كل ما عليك هو إدخال المعلومات ، وسيقوم هو بالتشخيص .. أو يطلب منك أبحاثًا أكثر .

ـ لا بأس .. وماذا عن المريضين ؟.

ـ لا شىء .. فقط نعطى البلازمـــا لـ (جاكسون) ، والماء والجلوكوز للرضيع .. إن (جاكسون) فى غيبوبة الآن ، ولم يزل يعانى فقر الدم ..

ثم إنها ناولت قلمًا ضوئيًا إلى (هال) ، وشرحت له كيف يشير به على الشاشة إلى الأبحاث التى يرغبها ، ليقوم الكمبيوتر بإجرائها على الفور ... ثم إنها ضغطت زرّ البدء :

برنامج ميدكوم
تحليل / معمل

دم :	بروتين :
عدّ دم أحمر	زلال
خلايا شبكية	جلوبيولين
صفائـح	فايبرين
كرات بيضاء	كلى
تفريقى	... وهكذا ...



كان شعورًا غريبًا وهو يزحف ـ كالسحلية ـ عبر النفق ليجد نفسه داخل البذلة ..

قائمة طويلة من الأبحاث بلا نهاية تقريبًا ..

مدّ (هول) يده بالقلم المضىء، وأشار إلى الأبحاث التى يريدها ـ حوالى عشرين ـ فاختفت كلها من على الشاشة ..

ثم ظهرت الكلمات التالية :

التحاليل المطلوبة تحتاج من كل مريض :

٢٠ سم مكعب دم

١٥ سم مكعب بول

دم مع الأوكسالات

دم مع السترات

قالت الفتاة :

ـ سأقوم بأخذ هذه العينات، إلى أن تفحص أنت المريضين .. كل ما عليك هو دخول النفق إلى أن تجد نفسك داخل هذه البذلة، ولسوف ينغلق النفق خلفك احتياطًا لحدوث ثقب فى البذلة، مما قد يؤدى لخروج الباكتريا عبر النفق.

كان شعورًا غريبًا وهو يزحف ـ كالسحلية ـ عبر النفق ليجد نفسه داخل البذلة، بينما يسحب النفق كله خارج جسده .. وبينما انهمكت الممرضة فى أخذ عينة الدم، من وريد بفروة رأس الرضيع؛ عكف هو على فحص (جاكسون) ..

رجل عجوز يعانى فقر دم وهزالًا : الاحتمال الأول هو السرطان ثم الدرن فإدمان الكحول ..، هو غائب عن الوعى والاحتمالات هى الصرع .. فنقص سكر الدم .. فنزف مخى ..

ضغط الدم منخفض (٨٥/٥٠) .. النبض والتنفس سريعان ..

حاول أن يوقظ الرجل بهزة مرارًا ..

يبطء فتح الرجل عينه .. وغمغم :

ـ إنـ ... صرف !.

ثم عاد لعدم الاستجابة .. كان الدم يغطى شفتيه .. وأظهر فحص الشرج وجود دم مهضوم كذلك ..

وهنا رأى على الشاشة جوار الفراش ، بداية ما تم عمله من أبحاث ..

حجم الخلايا المحزومة ٢١ (الطبيعى ٣٨ـ٥٤)

جاكسون ، بيتر

ـ «نصف الطبيعى» ـ قالها ووضع قناع الأكسجين على أنف الرجل ـ «نحتاج إلى أربع وحدات من الدم».

ـ سأطلبها حالًا .

بعد هذا جاء دور الرضيع .. كان قد نسى طب الأطفال ، ونسى مدى صعوبته .. إن النظر لعينى الرضيع مستحيل ، لأنه يغلقهما كلما حاولت فتحهما .. وكلما حاولت سماع قلبه صرخ الصغير كالمجانين فلا تسمع شيئًا ..

لكنه لم ينس : هناك رابطة ما بين الرضيع والعجوز ، جعلت كليهما ينجو من الكارثة .. فما هى الرابطة بين عجوز شاحب يقىء دمًا ، ورضيع متورد يملأ الدنيا صراخًا ؟..

كل شىء طبيعى بخصوص الرضيع ..

فيما عدا أنه قد نجا من الوباء الوبيل ...

بشكل أو بآخر .....

* * *

١٥ ـ التحكم الرئيسى ..

فى غرفة التحكم الرئيسى ، جلس (ليفيت) و (ستون) يرمقان القمر الصناعى عبر النافذة الزجاجية ، وطبقًا لبروتوكول (وايلدفاير) ، كانت هناك ثلاث خطوات أساسية : البحث .. التمييز .. التحكم ... يجب العثور على الجرثومة ، ثم دراستها ، فالتحكم فيها ..

وكانت هناك عدسات ميكروسكوب عديدة مسلطة على المقذوف .. تنقل الصورة عبر ألياف زجاجية إلى الشاشات ، لم يكن استعمال شاشات التلفزيون ، ليعطى صورة واضحة حادة التفاصيل مثل هذه الصورة ..

ـ ابدأ بقوة تكبير (٥) ..

وشرعت العدسات تدور حول المقذوف ببطء ... لكن الرجلين لم يريا ما يريب .. جربا تكبير (٢٠) ـ وهذا يقتضى وقتًا أطول لمسح المقذوف ـ لكن لم يتضح شىء بعد ...

ـ جرِّب (١٠٠) .

بدأ حماسهما يفتر تدريجيًا .. ومرت ساعتان من البحث العقيم ، من ثم رأى (ستون) أن يشرعا فى فحص داخل القمر الصناعى .. قام (ليفيت) بتسليط الضوء على داخل

الجسم ، ثم شرع يحرك العدسة على أجزائه ، وهو أمر عسير ، كأنما تحاول الكتابة وأنت تنظر إلى انعكاس يدك فى المرآة ..

أخيرًا وجدا ندبة دقيقة فى جدار المقذوف .. زادا قوة التكبير فوجدا مادة ملتصقة بها ، كأنما سواد مختلط بقطر أخضر .. شعر كلا الرجلين برجفة حماس .. إنهما يريان للمرة الأولى شيئًا جديدًا ..

لكنهما لم يتوقفا عن مسح الجسم بالعدسات ، فهما لايريدان الوثب إلى أية استنتاجات متعجلة ... وحين انتهيا من ذلك ، عادا إلى مكان الندبة ، وزادا قوة التكبير إلى (٤٤٠) ، ثم عكفا على دراستها ..

ـ تبدو كبقع من طلاء أخضر ..

ـ أرجو ألا تكون كذلك .

وواصلا النظر إلى البقعة بعض الوقت .. حين حدث الشىء .. احمرت البقعة لجزء من الثانية .. ثم عادت إلى اللون الأخضر ..

ـ علىّ اللعنة !.. هل رأيت هذا ؟!

ـ نعم .. بالطبع .. ولكن ما معناه ؟

جاءت الإجابة بعد ثوان ، حين احمرت البقعة ثم انتظمت حوافها وبدا كأنها ازدادت حجمًا .. ثم عادت إلى اللون الأخضر ...

- إن هذا الشيء يكبر !.

* * *

ضغط (ستون) الزرّ الذى كتب عليه (مزرعة) .. فبرزت يد معدنية تحمل صينية عليها مجموعة من أطباق (بترى) ، المخصصة لزراعة الباكتريا .. وكل طبق يحوى نوعًا من أوساط الزراعة ، مثل (آجار الدم) .. (آجار الشيكولاتة) .. (وسط سابورو) .. إلخ ..

وبيد ميكانيكية أخرى ، تمّ عمل مسحات لعدة أجزاء من سطح المقذوف الخارجى ، ثم مسحات للسطح الداخلى .. وقام (ستون) بكحت الرقعة الخضراء ، ووضعها سالمة فى طبق منفصل ..

ثم استعان (ليفيت) ببرنامج الكمبيوتر (ماكسكلت) ، الذى ينسق زراعة أطباق (بترى) ، فى ظروف متباينة من الحرارة والرطوبة والغازات المختلفة ، وهو عمل يحتاج من المرء إلى عدة أسابيع ، لكن الكمبيوتر ينجزه خلال دقائق ..

- أرى أن نفحص الرقعة الخضراء بوسيلة أفضل .. كيف حالك مع الميكروسكوب الإلكترونى ؟.

- لست معتادًا عليه لكنه سيقدم لنا الكثير ..

ونظر (ليفيت) إلى الساعة وراء ظهره ..

كانت الحادية عشرة صباحًا ..

وأيقن الرجلان - للمرة الأولى - أنهما يعملان منذ عشر ساعات كاملة دون توقف .....

* * *

١٦ ـ التشـريـح ..

فيما بعد اعترف (بيرتون) بأنه ارتكب عدة أغلاط ، حين جلس كى يشرّح الحيوانين اللذين قتلتهما الباكتريا ..

كان عليه كذلك أن يدرس كيفية سريان العدوى .. وبكل المقاييس كان (ليفيت) هو خير من يقوم بهذا ، لكن الحاجة كانت ماسة إليه فى عزل الجرثومة ، من ثمّ وقع العبء على (بيرتون) ..

بدأ بمجموعة من الأقفاص ، لكل منها مصدر تهوية مستقل .. ، ثم إنه وضع جثة الفأر جوار أحد هذه الأقفاص ، وجعل الهواء يمرّ من الجثة إلى القفص .. وعلى الفور مات الفأر السليم ..

إذن فالعدوى ـ كما خطر له ـ منقولة بالهواء .. ، أحضر قفصًا آخر به فأر حىّ، ووضع مرشحًا دقيقًا على صمام التهوية ، سعة ثقوبه ١٠٠ أنجستروم .. أى أنه يسمح بمرور فيروس ، ثم شرع بمرور الهواء من الجثة .. لكن الفأر ظل حيًا ..

إذن فالجرثومة أكبر حجمًا من الفيروس . بدأ يزيد من حجم الثقوب واحدًا تلو الآخر حتى توفى الفأر .. ، كان حجم المرشح هو ٢ ميكرون .. أى بحجم خلية صغيرة .. ، وهكذا يمكن استبعاد الغازات السامة كمسبب للوفاة ..

ثم إنه بدأ يدرس كيفية دخول الجرثومة للجسم ..

هى تحدث تجلطًا فى الدم .. فهل يبدأ ذلك من الأنف أم من الجلد ؟

انتقى قردًا من نوع (الريزاس) .. وحقنه ببروتينات دم مُعلمة بنظائر مشعة ، ثم سلط جهاز المسح الذرى على القرد .. ، وبدأ جهاز المسح يرسم النتائج على ورق الكمبيوتر ..

ثم إن (بيرتون) جعل القرد يستنشق الهواء الملوث .. وعلى الورق ظهر له أن التجلط يبدأ فى الرئتين أولاً ، ثم ينتشر إلى باقى الدم ..

بعد هذا جرّب أن يحقن الفئران بالهيبارين ، (المادة التى تمنع تجلط الدم) ، ثم يعرضها للعدوى ، على أمل أن تظل حية ولا يقتلها التجلط .. لكن التجربة فشلت وماتت الفئران ..

وهنا ارتكب أسوأ أخطائه : لم يقم بتشريح هذه الفئران الأخيرة ، التى منع دمها من التجلط ...

ولكن صبرًا .. لسوف يتبين خطأه بعد ثمان وأربعين ساعة .. أما الآن فهو منهمك بتشريح جثتى الفأر والقرد ، اللذين ماتا أولاً .. وأعد شرائح مجمدة تصلح للميكروسكوبين الضوئى والإلكترونى ..

كما أنه أرسل عينات لتصبغ بالصبغات المختلفة ، ولتأخذ هذه العملية عشر ساعات أخرى ...

وفى نهاية بحثه المضنى جلس يدون ما وجده :

١ ـ حجم الجرثومة حوالى ٢ ميكرون .. إذن هى ليست فيروسًا ولا غازًا .

٢ ـ يتم انتقالها بالهواء .

٣ ـ يبدأ المرض فى الرئتين حيث يحدث تجلط سريع .

٤ ـ مضادات التجلط لاتقى من الموت بالجرثومة .

٥ ـ فيما عدا التجلط العام ، لاتوجد تغيرات مرضية فى خلايا الحيوان الميت .

وهز رأسه منهكًا .. ربما لا يجدى منع التجلط ، لكنه قد وضع قدمه على الدرب الصحيح .. ولسوف يصل إلى الجواب حتمًا ....

* * *

١٧ ـ الإفاقـة ..

فى الحادية عشرة ، كانت كل الأبحاث التى طلبها (هول) قد اكتملت على شاشة الكمبيوتر ..

الموضوع المسمى ـ رضيع ـ فى حدود الطبيعى.

ثم ....

الموضوع المسمى ـ جاكسون ، بيتر ـ ليس فى حدود الطبيعى .

وبدأ الكمبيوتر يعرض النتائج ..

وظائف الكلى مختلفة نوعًا .. سرعة الترسيب عالية نتيجة لتدمير الأنسجة .. الخلايا الشبكية عالية بسبب محاولة النخاع تصحيح الأنيميا .. كل هذا مفهوم .. فيما عدا الرقم الهيدروجينى للدم ، فهو لغز .. ٧,٣١ هو دليل على ارتفاع شديد فى حمضية الدم .. كيف يمكن تفسير ذلك ؟

الموضوع المسمى ـ جاكسون ، بيتر ـ

احتمالات التشخيص :

١ ـ نزف حاد ـ المصدر الجهاز الهضمى ـ لا مصادر أخرى مهمة .

٢ ـ ارتفاع فى حمضية الدم : السبب غير معروف . مطلوب أخذ تاريخ دقيق من الحالة .

قرأ (هول) المكتوب على الشاشة وهز كتفيه .. إن الكلام سهل دائمًا .. فكيف ـ بحق السماء ـ تأخذ تاريخًا دقيقًا من مريض فى غيبوبة ؟! .. على كل حال يمكن طلب تحليل غازات الدم مؤقتًا .. لكن الكمبيوتر رفض الاستجابة بعناد .. وكتب :

تاريخ الحالة أكثر أهمية من نتائج المعمل

كتب (هول) للكمبيوتر : « المريض فى غيبوبة » فرد الكمبيوتر على الشاشة :

مؤشرات المريض لا تدلّ على الغيبوبة

رسم المخ يظهر موجات (ألفا) المميزة للنوم

ـ عليك اللعنة إذن !.

ونظر عبر الحاجز الزجاجى، ليجد أن (جاكسون) يهوّم برأسه حقيقة .

أسرع يدخل النفق إلى البذلة البلاستيكية ، ثم انحنى المريض وبالفعل فتح (جاكسون) عينيه ، ونظر غير مصدق إلى (هول) ..

ـ لا تخشى شيئًا .. أنا د. (هول) .. أعنى بك ها هنا .. كنت تنزف بغزارة ونقلنا لك دمًا .

لم تبد الدهشة على الرجل .. فسأله (هول) وقد أثار هذا ريبته :

ـ هل حدث لك هذا من قبل ؟.

ـ نعم .. مرتين .. ولكن .. هل معك سيجارة ؟

ـ لا .. التدخين ممنوع هنا .

هبّ الرجل محنقًا من الفراش .. وراح يسبّ ويلعن :

ـ إن هذا المكان يثير اشمئزازى .. اصغَ إلىّ يا (جدع) .. لو أنك عشت قدر ما عشته أنا ، لأدركت ما يصلح لك وما لا يصلح .. قالوا لى من قبل ألا أقرب الأكل المكسيكى .. لا جعة .. والنتيجة أننى أتدهور .

ـ من قال لك هذا ؟

ـ الأطباء .. هؤلاء الرعاع فى (فينيكس) .. منذ عام .. تلك المعدة اللعينة التى فى بطنى .. دائمًا هى السبب ..

ـ كانت تنزف ؟

ـ يا الله !.. تنزف بغزارة .. لم يخطر لى قط أن فى جسدى كل هذا الدم .. عامان مرا بى فى هذا الداء .

ـ عامان ؟.. إذن فالموضوع يتعلق بقرحة وليس سرطانًا ..

ـ قال لى هؤلاء الحمقى إننى بحاجة إلى انتزاع هذه المعدة .. كل الأطباء يحاولون فتح (كرشك) وإخراج أشياء .. لكنى رفضت .. لقد عشت حياتى بهذه المعدة

ولسوف أنهيها بها .. لهذا عدت أشرب كل ما هو ضارّ ، وآكل كل ما هو ضار .. إننى أعرف علاجى الفعال : الأسبرين .. أنه يشفى معدتى تمامًا !.

لهذا ينزف الرجل بهذه الغزارة .. إن الأسبرين هو أسوأ ما يمكن أن يتعاطاه مريض القرحة ، وربما هذا يفسر حموضة الدم ، فالأسبرين هو حمض لابأس به .. حمض (أسيتيل ساليسلك) .

أضاف الرجل :

ـ هذا كان يريحنى بالإضافة إلى بعض العصارة .

ـ عصـارة ؟.

ـ نعـم .. (السيترنـو) .. هل تعـرف هـذا (الهباب) ؟

ـ بالطبع (السيترنو) نوع من أحط المشروبات الكحولية ، وهو قادر على إصابتك بالعمى لأنه غنى بالكحول الميثيلى .

ـ اللعنة .. لقد كان يريحنى ، لهذا شربته مع الأسبرين .. والآن كف عن الأسئلة قليلًا يا (جدع) فأنا بحاجة إلى (تعسيلة) .

رأى (هول) أن الرجل على صواب ، فتركه ينعس ، ثم خرج إلى الفنية ، فطلب منها أن تدخل أنبوبًا إلى معدة (جاكسون) لتجرى غسيل معدة بالماء المثلج .. وهذا يقلل النزف من القرحة(★) .

وهنا دق الجرس داعيًا إياه إلى مؤتمر عاجل ..

★ ★ ★

(★) من الطريف هنا أن نلاحظ أن (كرشتون) فى ذلك الوقت لم يكن قادرًا على تخيل معجزات المناظير ، ولم يسمع عن العقارات السحرية الشافية للقرحة ...

ميكروسكوب قوى ، حيث عرضا عليهما صورة البقعة الخضراء ، وكيفية ازديادها فى الحجم وتغير لونها ..

ـ يجب أن نواصل البحث ..

قالها (ستون) واقتطع قطعة صغيرة من البقعة طالبًا من (بيرتون) أن يحللها طيفيًا .. كما طلب من (ليفيت) أن يحللها بحثًا عن أحماضها الأمينية ......

إن الخلية تتكاثر بسرعة لاتصدق حتى هذه اللحظة ..

★ ★ ★

١٨ ـ مؤتمر فى الظهيرة ..

كان بروتوكول (وايلدفاير) يحتم لقاء علماء المشروع كل اثنتى عشرة ساعة ، لعقد مؤتمر قصير ، يتم أثناءه تبادل وجهات النظر ، ووضع خطط البحث الجديدة ...، ولتوفير الوقت تعقد هذه المؤتمرات فى الكافتريا ، حيث يستطيع العلماء أن يأكلوا فى نفس الوقت ..

قال (ستون) للجالسين :

ـ سنسمع د . (بيرتون) أولًا ..

شرع (بيرتون) يشرح دراسته للجرثومة ونتائج التشريح ، بصوت خفيض متردد قليلًا ..

بعد هذا جاء دور (هول) ، الذى حكى للعلماء نتيجة فحصه للمريضين وأثار ذهولهم حين عرفوا أن (جاكسون) قد أفاق .. كما شرح لهم كيف أن تعاطى الرجل للأسبرين و (السيترنو) ، أدى إلى زيادة حموضة دمه .. وقد حاول جسمه مقاومة هذا ، بزيادة سرعة التنفس التى تغسل آثار ثانى أوكسيد الكربون من الدم ..

ثم إن (ستون) و (ليفيت) عرضا ما توصلا إليه بفحص القمر الصناعى .. وقاداهما إلى غرفة بها

١٩ ـ ســـقوط ..

كانت المكالمة مرعبة ..

أثارت هلع (أرثر مانتشيك) ، حيث جلس يطالع الجريدة بعد العشاء ، هو الذى لم يقرأ جريدة منذ يومين ، بسبب انهماكه فى قضية (بيدمونت) .. ثم يدق جرس الهاتف ، ويسمع صوتًا مرتبكًا يقول :

ـ سيدى .. هنا كولونيل (بيرنز) فى الوحدة (٨) .. ثمة حادث سقوط منذ اثنتين وأربعين دقيقة ، فى (بيج هيد) فى (يوتاه) .

غريب هذا منذ متى يبلغوننى بحادث سقوط روتينى ؟..

ـ ماذا كان نوعها ؟

ـ طائرة (فانتوم) يا سيدى كانت متجهة إلى (توبيكا) .. طلب منا (جودار) أن نبلغك حتى يمكنك اللحاق بنا ..

قطب (مانتشيك) حاجبيه غير فاهم لشىء .. إن (جودار) لهو مركز الملاحة الفضائية خارج (واشنطن) .. ماذا هنالك ؟..

ـ سيدى .. لقد مرّت الطائرة عبر المنطقة (و.ف) .

أحس (مانتشيك) بالخدر يغزو أطرافه :

ـ متى ؟.

ـ عشرون دقيقة قبل السقوط .. على ارتفاع ثلاثة وعشرين ألف قدم ..

ـ حسن .. سألحق بكم حالًا ..

ووضع السماعة شاعرًا بالتعاسة .. فهو بحاجة إلى النوم ، لكن المنطقة (و.ف) هى منطقة الحزام الأمنى المحيط بـ (بيدمونت) فى (أريزونا) .. كان يجب أن يلقوا القنبلة .. كان يجب أن يلقوها منذ يومين ..

ربما كان سقوط الطائرة عائدًا إلى سوء تصرف الطيار .. هذا يحدث كثيرًا .. ودائمًا يكون تقرير لجنة فحص الحطام ـ إذا لم يتضح السبب ـ هو (فشل النظام) .. وفشل النظام ينجم دومًا عن فشل الطيار .. لكن شيئًا ما يحدثه أن فشل الطيار ليس تفسيرًا لما حدث ....

★ ★ ★

جلس فى العربة الليموزين المتجهة إلى (يوتاه) ، يسترجع ما تردد فى التسجيل الذى يدون محادثات الطيار مع مطار (توبيكا) ..

ماذا قال الرجل ؟.. أولًا قال إن هناك خطأ ما ..

ثم - بعد لحظة - قال : إن خرطوم الهواء المطاطى يذوب .. إنه يتحلل إلى غبار ..!

وبعد عشر ثوان قال بصوت خافت : كل ما هو مطاطى يتلاشى ..!

وانتهى الاتصال تمامًا بعدها ..

نظر إلى الجبال البعيدة تستحم بأشعة الشمس الصافية .. وتساءل :

- هل أبلغتم (وايلدفاير) ؟.

سأله عالم نفسانى يجلس فى السيارة معه (وكل لجان فحص حطام الطائرات تضم ولابد عالمًا نفسانيًا) :.

- هل تعنى علماء الجراثيم إياهم ؟.. بالطبع .. أرسلنا لهم رسالة تلكسية منذ ساعة .

وخطر لـ (مانتشيك) - فى ضيق - أن هؤلاء القوم بالتأكيد لايقرءون ما يصلهم من رسائل .. لابد أن الأبحاث قد استغرقتهم ، فلم يعودوا يعبئون بما تحمله أسلاك (التلكس) .. وأفاق من كآبته على صوت قائل يقول :

- ها هو ذا الحطام أمامنا !.

* * *

حتى هذه اللحظة ، ما زال (مانتشيك) يشعر بالصدمة كلما رأى حطام طائرة .. القوة المدمّرة لكتلة معدنية عملاقة ، تصدم الأرض بسرعة آلاف الأميال فى الساعة ..

هو ذا حطام (الفانتوم) مبعثر عبر ميلين من الصحراء ، وفى كل مكان قطع من المعدن المسود الملتوى .. أو المعدن الذى زال طلاؤه .. وجوار قطعة مهشمة من الجناح وجد عظمة .. عظمة آدمية من ذراع أو فخذ .. والغريب أنها كانت صقيلة بلا قطعة لحم واحدة ..

كان المساء قد جاء ، وعلى ضوء المصابيح دنا منه أحد علماء الكيمياء الحيوية ضمن الفريق وقال له :

- أسمعت ما قاله الطيار عن ذوبان المطاط ؟.. الواقع أنه لم يكن هناك أى مطاط فى الطائرة .. بل مادة بوليمرية مرنة قريبة الشبه بالأنسجة البشرية إلى حد مذهل ..

- وماذا تستخلصه من ذلك ؟.

- أستخلص أن هناك شيئًا يدور هنا .. وأنا لا أعرف - بحق السماء - ما هو هذا الشىء ...

* * *



وجوار قطعة مهشمة من الجناح وجد عظمة .. عظمة آدمية من ذراع أو فخذ

٢٠ ـ روتيـن ..

ببطء تحول ما يجرى فى معامل (وايلدفاير) ـ حيث لا نهار ولا ليل ـ إلى روتين .. عمل مستمر بلا نهاية ، ينام الرجال معه حين ينهكون ، ويصحون حين يستردون قواهم .

وقف (بيرتون) جوار مقياس الطيف ، المزوّد بأجهزة أخرى للقياس الإشعاعى والتحليل الحرارى ، وتصوير البللورات بأشعة إكس ..

وكان عمله يتلخص فى حرق المادة التى يتم دراستها ، ثم يمرر الضوء المنبعث منها عبر مخروط زجاجى ، يفكك الضوء إلى خطوط .. وتتم قراءة هذه الخطوط على شاشة لمعرفة مكونات المادة ... وهذه الخطوة الأخيرة تتم عن طريق كمبيوتر حساس ..

لكن هذه العملية بطيئة .. ربما استغرقت ساعتين أو أكثر ..

وفى غرفة مجاورة، كان (ليفيت) يقوم بتحليل الأحماض الأمينية للبقعة الخضراء، التى وجدوها فى القمر الصناعى ... إن عدد الأحماض الأمينية المعروف

هو ٢٤ حمضًا .. وتتكون البروتينات من سلسلة من هذه الأحماض الأمينية ، التى يحدد ترتيبها نوع هذا البروتين .. هل هو جزىء هيموجلوبين ، أم إنسولين ، أم هرمون آخر ..

لقد احتاجت هذه الجملة القصيرة عشرين عامًا من البحث المضنى لاكتشافها ..

ثم بعد ذلك تلتف سلسلة البروتين حول نفسها ، بطريقة خاصة جدًا لتؤدى عملها .. هذه الجملة احتاجت عشر سنوات أخرى .. من المستحيل وجود حياة دون بروتين .. ولكن هل هذه البقعة تحوى بروتينًا حقًا ؟.. ماذا لو كانت لاتحوى بروتينًا ، ومع ذلك هى حية ؟!

إن علم الأحياء ـ كما قال (جورج ولد) ـ هو علم فريد من نوعه، لأنه لا يستطيع تعريف موضوعه ! .. بالفعل .. ما معنى كلمة حياة ؟.. صحيح أن هناك تعريفًا عتيقًا يقول : الحياة هى القدرة على الأكل والإخراج والتناسل ... إلخ ..

لكن التعريف الحالى الأكثر دقة هو : الحياة هى القدرة على تحويل الطاقة ، تحويل الطعام أو الضوء إلى طاقة حرارية ، صحيح أن الفيروسات لاتفعل هذا .. لكن الفيروسات ـ منذ اكتشافها ـ تقف فى المنطقة الفاصلة بين الموت والحياة ..

فى ذات الوقت ، كان (ستون) يضع قطعة من المادة الخضراء فوق بلاستيك ذائب .. ثم انتظر حتى غمرت تمامًا ، بعدها غطاها بمزيد من البلاستيك .. إن إعداد العينات للمكروسكوب الإلكترونى فن معقد حقًا .. لقد احتاج إلى خمس سنوات كى يجيد هذا العمل ..

بعد هذا يضع البلاستيك فى درجة حرارة ٦١ مئوية ، ورطوبة ١٠ ٪ بعد هذا يقطع شريحة صغيرة من المادة بالميكروتوم .. ويفحصها فى قوة تكبير لا تقل عن ستين ألف مرة ..

كان (هول) فى ذلك الوقت ، يتأمل أجهزة التدمير النووى فى الردهة .. وعددها خمسة ، كل منها فى حجم صندوق السيجار الفضى .. وبه ثقب مفتاح .. وضوء أخضر صغير ..

لو حدث تلوث عام ، يستشعر الجهاز ذلك بوساطة المسح الحيوى فيطفئ الضوء الأخضر وينير الأحمر بشكل متقطع .. أى أن هناك ثلاث دقائق قبل الانفجار .. ما لم يدسّ هو مفتاحه ليغلق النظام ..

لكن هناك مشكلة صغيرة :

فى حالة حدوث تلوث ، تهبط أبواب عازلة لتفصل الجزء الملوث عن باقى المبنى .. فلو كان (هول) معزولاً فى تلك اللحظة عن أجهزة التدمير ، فلن يصل بمفتاحه إلى الجهاز فى الوقت المناسب ..

كان هذا خطأ فى التخطيط .. خطأ لا يمكن تصحيحه ..

★ ★ ★

صحا (ليفيت) من نومه ، فنهض من الفراش ونظر إلى الساعة .. إنها الساعة (٢٢٠٠) بلغة الجيش ، أى العاشرة مساءً بلغتنا ..

حان الوقت إذن .. ارتدى ثيابه على عجل .. كانت باردة تمامًا لكنها صارت دافئة بعد ثانية واحدة ..

رفع عينيه إلى الساعة فوجدها (٢٢١٠) !.. يا للسماء !.. مرة أخرى يحدث هذا له ؟.. أين ذهبت الدقائق العشر ؟.. كل ما فعله هو أن ارتدى ثيابه .. لا يمكن أن يستغرق هذا منه أكثر من نصف دقيقة .. حاول أن يتذكر .. لكن سدى ...

إن هذا مخيف .. هل يخبر الآخرين ؟.. لا .. لا داعى لذلك .. إنه على ما يرام ، وليس له أن يخشى شيئًا ..

هل يخبر (ستون) ؟.. حتمًا لا .. سيهدم هذا مستقبله بالكامل ، ويؤثر على ثقة الناس به .. بل لن يسمح له أحد بقيادة سيارته ..

فليبق الأمر سرًا .. سيكون على ما يرام ما دام يتحاشى النظر إلى الأضواء الوامضة ......

★ ★ ★

فى حجرته لم يستطع (ستون) النوم ..

ثمة فكرة ما تطارده .. شىء ما يتعلق بالطيور الجارحة ، التى كانت تحوّم حول الجثث فى (بيدمونت) .. كان قد نسى أمرها تمامًا ، لكن الذكرى عادت إليه الآن .. شىء ما قاله (هول) اليوم يتعلق - بكيفية ما - بطيور (بيدمونت) .. ولكن أى شىء ؟

إن مفاتيح اللغز كلها هنا .. لكنه غير قادر على الحفر ليصل إليها ..

ككل العلماء العباقرة ، كان (ستون) يتعامل مع عقله بكثير من الشك .. كان يعتبر مخه آلة دقيقة بارعة ، لكنها خاضعة لتقلبات مزاجية غير مفهومة لهذا لم يكن يندهش حين تفسد هذه الآلة ، وإن كان يخشى تلك اللحظات كثيرًا ..

تنهد ونظر إلى الساعة ..

كانت (٢٣٤٠) ....

إذن حان الوقت لمؤتمر منتصف الليل ..

★ ★ ★

٢١ ـ مؤتمر منتصف الليل ..

كان واضحًا من العيون المحمرة المتفتحة ، أنهم جميعًا لا ينالون كفايتهم من النوم .. وقال (ستون) :

ـ أرى أنه لا داعى لإرهاق أنفسنا .. إن الرجال المتعبين يرتكبون أغلاطًا سواء فى التفكير أو التنفيذ .. لنعمل بتراخ أكثر ، ونحاول أن يظفر كل منا بست ساعات نوم على الأقل يوميًا .

وافق الآخرون ، خاصة وأنه لا داعى للعجلة .. فهم واثقون بأن القنبلة الذرية قد (كوت) العدوى فى (بيدمونت) منذ يومين ..

وهنا اقترح (ليفيت) أن يطلقوا اسمًا على الجرثومة ..

وبعد جهد اتفق الحاضرون على تسميتها (سلالة أندروميدا) .. ثم إنهم شرعوا يتأملون جهاز (التلكس) الذى يقعقع طيلة اليوم فى ركن الغرفة كانوا جميعًا منشغلين ، فلم يكلف أحدهم نفسه بقراءة المكتوب على الورق الذى يخرج من الجهاز ..

لكن (ليفيت) رأى رسالة أثارت اهتمامه ، فاقتطعها وناولها إلى (ستون) :

١١٣٤/٤٤٣/كك/ى-و/٩
إرسال لكل المحطات
تصنيف سرى للغاية
طلب بالتوجيه (٧ ـ ١٢) تلقاه ن.س ـ كوبرا اليوم . المصدر فاندنبرج/وايلدفاير
مانتشيك ، آرثر ـ ميجور ـ ولايات متحدة .
لم يتم تنفيذ التوجيه
تم التأجيل ٤٨ ساعة
لا ملاحظات
انتهى

لم يصدق العلماء عيونهم .. ولثوان لم يقل أحد شيئًا .. ثم طلب (ستون) القيادة ليفهم ما حدث ..

* * *

بعد عشر دقائق ، سمع (ستون) صوت (روبرتسون) رئيس مستشارى الرئيس الأمريكى العلميين .. كان يتكلم من (هيوستون) ..

ظل (ستون) يتكلم بضع دقائق ، مستعملًا عبارات حادة .. ومناقشة ساخنة حول سبب إحجام الرئيس عن تنفيذ التوجيه (٧ ـ ١٢) ..

- الرئيس لا يثق بالعلماء - فسّر (روبرتسون) - ولا يرتاح معهم .

- إذن فواجبك كان يحتم أن تجعله يرتاح معهم .

- (جيريمى) .. أنا أوافقك على أن القنبلة كان ضروريًا أن تلقى .

- إذن ابق مع الرئيس .. أقنعه .. فلربما كان الأوان قد فات .

- إن الحرس الوطنى يحاصر المكان ، فلا تقلق .....

- لعمرى هذا هو الغباء بعينه .. إن الريح هناك تأتى من الشرق .. ولسوف يبدأ رجالكم فى الموت غربًا .. عندما يموت أول جندى ، أريد معرفة كيف ومتى - والأهم - أين ؟

حاول الرجل تهدئة (ستون) ، فحكى له عن حادث الطائرة الفانتوم ، التى سقطت قرب نطاق الأحداث ، ووعده بأن يوافيه بالجديد عن هذا الحادث ..

وانتهت المحادثة عند هذا الحدّ ...

إلا أن (ستون) جلس يطالع كل ما كتبه التلكس .. فى صبر يحسد عليه حقًا ..

★ ★ ★

اليوم الرابع



٢٢ ـ التحليـــل ..

نظرًا لضيق الوقت ، صار تحليل الأحماض الأمينية ذا أهمية قصوى بالنسبة للفريق .. فمن المأمول أن يكشف النقاب عن أسرار (أندوروميدا) ، التى تهدد الأرض تهديدًا مروعًا ..

كان الكمبيوتر قد فرغ من تحليل العينات أمام (ليفيت) و (بيرتون) .. ووجد العالمان أن البقعة الخضراء ، تتكون من ذات العناصر الأرضية :

الهيدروجين ـ الكربون ـ النتروجين ـ الأكسجين ..

ثم جاء دور الأحماض الأمينية :

جليسين	00
ألانين	00,00
فالين	00,00
إلخ	

ـ « يا للسماء ! » .

ـ لا أحماض أمينية !.. لا بروتين ..

ـ حياة بلا بروتين !.. إن أسوأ مخاوفى قد تحقق !.

لقد أدرك العالمان أنهما يتعاملان مع كيان غريب تمامًا ..

★ ★ ★

وفى غرفة الفحص، جلس (ستون) يعدّ العينة التى كان قد وضعها فى البلاستيك .. يقطعها بالميكرتون فى ضوء فضى، يسمح له برؤية الشرائح أكثر سمكًا مما هى عليه ..

وفى النهاية وضعها ـ العينة ـ على مقياس نحاسى ، أدغمه فى الميكروسكوب الإلكترونى ، الذى يستعمل الإلكترونات بدلًا من الضوء ، ويستعمل حقلًا مغناطيسيًا بدلًا من العدسات ..

والميكروسكوب الإليكترونى يشبه ـ فى مبدأ عمله ـ جهاز التليفزيون إلى حد كبير وكلاهما يستخدم ذات الشاشة تقريبًا ..

لكن مشكلة هذا الميكروسكوب هى :

أولًا : أن داخله يجب أن يكون مفرغًا من الهواء تمامًا ، مما يجعل من المستحيل فحص كائنات حية ..

ثانيًا : تقتضى الحاجة أن تكون عيناته غاية فى الرقة ، مما يجعل عسيرًا أن ترى صورة ثلاثية الأبعاد واضحة ..

كان (ستون) يعرف كل هذا حين أدار مضخة التفريغ ، وقام بضبط الشعاع .. وبعد ثانية رأى على الشاشة شكلًا سداسيًا يتداخل مع سداسيات أخرى .. كان المنظر دقيقًا هندسيًا لم يعتد أن يراه بين أشكال الحياة الأرضية .. كأنه بللورة ..

ولكن دعوا (ليفيت) ير هذا المشهد .. ولسوف يصيبه الذهول ..

وجاء (ليفيت) ليقول فى مرح :

ـ هذه هى الإجابة .. كيف يمارس هذا الكائن حياته دون أحماض أمينية .

وأشار إلى الشاشة :

ـ لابد أن الكائن مُسنس .. وكل وظائفه الحيوية تفصلها هذه السطوح السداسية المتعددة عن بعضها .

وتذكر (نظرية الرسول) التى قدمها (جون صمويل) ـ مهندس الاتصالات ـ أمام المؤتمر السنوى الخامس لأبحاث الفضاء .. ، كانت هذه النظرية تناقش الطريقة المختارة ، التى يمكن لكائنات فضائية ، أن تتصل بحضارات أخرى بعيدة عنها بها .. ، وكان ضمن ما قال :

ـ هب أن حضارة ما تحاول اختراق الكون .. كيف تفعل ذلك ؟.. بالراديو ؟.. مستحيل .. فهى وسيلة بطيئة تتحلل موجاتها بسرعة .. وتزداد ضعفًا .. ، التليفزيون أكثر سوءًا .. ، حتى لو حاول المرء أن يفجر نجمًا كاملًا كإشارة ضوئية .. فالمشكلة واحدة ، وهى نقص القوة كلما طالت المسافة .. لأن الطاقة المشعة تتناسب عكسيًا مع الأسّ الرابع لنصف القطر .. تلكم حقيقة فيزيائية لاتُدحض .. ، إذن ما دمنا عاجزين عن استعمال الطبيعة ، فلنستعمل الأحياء .. نصمم كائنًا يحمل الرسالة فى شفرته

الوراثية ، ويتكاثر بلا حدود ، ويحافظ على قوة الرسالة .. يمكنك أن تبعثر هذا الكائن فى الفضاء ، وتتركه ينقسم وينقسم .. وبعد أعوام ستكون هناك بلايين البلايين من هذا الكائن ، يحملون رسالتك عبر الكون ..

كانت نظرية مسلية عسيرة التصديق .. لكن (ليفيت) لم يستطع أن ينساها .. وعادت إلى ذهنه بقوة فى هذه اللحظة ..

واتجه العالمان إلى وحدة تصوير البللورات بأشعة (إكس) .. وهى أكثر الطرق تقدمًا وتعقيدًا ، لتحليل التراكيب فى علم الأحياء المعاصر وهى طريقة أكثر دقة وعمقًا من الميكروسكوب الإلكترونى .. لكنها كذلك تكلف وقتًا ومالًا أكثر ....

وكما قال عالم الأحياء (ر.أ.جانك) فإن زيادة قوة التكبير ، تؤدى إلى زيادة أكبر فى التكاليف !.. أى أنك لترى الشىء أكبر مائة مرة ، تنفق مالًا أكثر بألف مرة ، مما كنت ستنفقه لو استعملت عينيك فقط ..!

* * *

- هل تستطيع تعرف هذا الرضيع يا مستر (جاكسون) ؟.

نظر العجوز الراقد فى الفراش إلى الصغير .. وغمغم لـ (هول) :

- لابد أنه ابن (ريتر) .. (جيمى ريتر) .. عمره شهران .

- بالضبط ..

- إنه لمزعج مثل (ريتر) العجوز .. يحب أن (يعارك الذباب على وجهه) سليم الجسم كالجاموس البرى ، لكنه دائم الصراخ والعواء .. كان يصرخ بعنف فى تلك الليلة .

- أية ليلة ؟

- ليلة أحضر (شارلى توماس) ذلك الشىء اللعين إلى البلدة .. رآه يهبط خارجها والأنوار تنبعث منه ، فأحضره إلينا .. فى عربته (الفورد) .. عربة جديدة (لنج) وهو فخور بها ..

- ثم ماذا بعد ذلك ؟

- وقفنا ننظر للشىء متسائلين عما إذا كان قمرًا صناعيًا قادمًا من المريخ .. أم هو شىء من هذه الأشياء التى يرسلونها للفضاء ؟.. أنت تعرف ما يفعله هؤلاء (الجدعان) فى (فلوريدا) .. إنهم يقذفون صواريخ إلى الفضاء (على طول) .. المهم .. ظللنا نتشاور ، حتى اقترح (شارلى) أن نأخذها للدكتور (بندكت) ، فهو متعلم ويفهم فى هذه الأمور .. وكانت السابعة والنصف حين أخذها (الدوك) إلى منزله .. ووقفت مع (آل) تثرثر جوار

طلمبة البنزين .. كانت معدتى تؤلمنى فشربت (حبّه) من العصارة .. وفجأة أمسك (آل) برأسه وصرخ ، وجرى فى الشارع ، ثم سقط بلا كلمة .. ، وبعدها رأيت الجميع يغادرون ديارهم ، ويسقطون على الأرض .. وبلا كلمة .. ، أصابنى الذعر ، وأخذ قلبى العجوز يتواثب فى صدرى .. وفجأة رأيت صديقى الجنرال ـ اسمه (بيتر أرنولد) ـ مرتديًا ثيابه العسكرية ، التى لم يرتدها منذ سنوات .. كان واقفا على باب داره يصرخ : لقد عاد اليابانيون !.. غارة !.. ، سألته : (بيتر) .. هل (طار برج من نافوخك ؟) . لكنه لم يردّ ودخل داره .. وعرفت أنه ضرب رأسه بالرصاص .. نعم لابد أنه (برج طار من نافوخه) .. ، وسمعت صوت سيارة فى العاشرة مساء .. خرجت لأرى راكبها ، فوجدت رجلين يتحشرجان بداخلها ويموتان .. اللعنة !.. ياله من رعب !.

ثم تثاءب وقال لـ (هول) :

ـ والآن .. هلا تركتنى (أعسول) قليلًا ؟.. لقد أنهكنى الكلام .

هزّ (هول) رأسه .. وتراجع خارجًا من النفق ..

ووقف خارج الزجاج يرمق الرجل الغافى فى شرود :

* * *

٢٣ ـ توبيكا ..

كان الحطام كله قد تم جمعه فى قاعة واسعة بـ (توبيكا) ، وراح الفنيون يدرسونه بعناية ..

والملاحظة التى أبداها أحد خبراء الكيمياء الحيوية ، هى أن الأجزاء المصنوعة من البوليمر (★) الشبيه بالبلاستيك كلها قد تفككت .. ، وهذا يعنى وجود تفاعل عضوى ما .. ربما أحدثته باكتريا غير معروفة ..

أثار هذا اهتمام (ماتتشيك) .. لماذا لم يردّ علماء (وايلدفاير) على خبر سقوط الطائرة الفانتوم ؟ واضح أن له علاقة قوية بما هم عاكفون على دراسته .. لم يستطع الفهم قط ....

* * *

وفى نفس الوقت أثار (هول) نقطة هامة : لماذا أصيب بعض المرضى بالجنون دون سواهم ؟.. هل هذا يعنى إصابة مخية ما ؟

(★) البوليمر : هو تكرار لجزىء واحد مرات عديدة .. وإليه ينتمى البلاستيك والنايلون والسليولوز النباتى والجليكوجين الحيوانى .

وبالفعل عاد (بيرتون) إلى تشريح جثث الفئران التى مُنع دمها من التجلط ، قبل إصابتها بالعدوى .. وكان أن وجد شرايين مخها فى حالة نزفية مريعة ..

إذن فخلية (أندروميدا) تبدأ بإحداث تجلط فى رئة الأصحاء .. وإلا اتجهت إلى شرايين مخهم لتحدث نزفًا ، إذا ما وجدت تجلطهم على غير ما يُرام ، والتجلط يكون على غير ما يرام بفعل العقاقير .. بفعل أمراض الكبد .. بفعل سوء الامتصاص .. بفعل عشرات الأسباب التى يمكن أن تكون موجودة ، لدى من فقدوا عقولهم قبل الوفاة .

لكن المشكلة لم تُحلّ بعد .....

لماذا احتفظ الرضيع والعجوز بقواهما كاملة ، ولم يصبهما شىء ؟.. إن كليهما لايعانى عيوبًا فى تجلط الدم ..

ولن يمضى وقت طويل قبل أن يعرفا التفسير ..

يعرفاه بعد فوات الأوان ..

★ ★ ★

٢٤ ـ التقييم ..

ذات مرة قال سير (ونستون تشرشل) :، العبقرية الحقيقية ، تكمن فى القدرة على تقييم معلومات غير مؤكدة وخطرة ومتعارضة ..

وبرغم أن (وايلدفاير) كان يضمّ نخبة من ألمع العقول ، فإن أفراد المشروع أساءوا الحكم على المعلومات فى عدة نقاط ..

لقد كانت هناك بقعة عمياء فى تفكيرهم .. وكما قال (ستون) فيما بعد :

ـ كان تفكيرنا متعلقًا بالمشكلة .. كل ما فعلناه وفكرنا فيه ، كان بقصد العثور على حلّ وعلاج لسلالة (أندروميدا) .. وكنا مركزين تفكيرنا على ما حدث فى (بيدمونت) ، ظانين أننا ـ إن لم نجد حلًا ـ لواجدون العالم كله وقد تحول إلى (بيدمونت) .

وكانت بداية الأخطاء مع المزارع الباكتيرية :

كان على (ليفيت) و (ستون) أن يستخدما برنامج (ترانسماتركس) لتحليل نتائج المزارع .. وكان هذا

البرنامج يزن كل طبق (بترى) ، باحثًا عن زيادة فى وزنه ، ثم يفحصه بعين إلكترونية حساسة .

واتضح لهما أن أفضل نمو يحدث فى الأشعة فوق البنفسجية ، مع تركيز ١٠٠٪ ثانى أوكسيد الكربون ، وعلى أى وسط مختار ..

لاحظا كذلك ـ حين درسا دوائر النمو المغلقة ـ أن الباكتريا تستهلك الغازات الموجودة فى البيئة ، لكنها لاتخرج شيئًا من أى نوع ... وهو تكيف ملائم للحياة فى الفضاء الخارجى .. باكتريا تستهلك كل شىء ولا تفقد شيئًا ..

وهنا خطرت الفكرة المروعة لكليهما فى ذات الوقت ..

ـ يا إلهى الرحيم !

وهرع (ليفيت) إلى الهاتف ، يحاول طلب (روبرتسون) حالًا ..

ـ لو أن هذا الشىء يحول المادة إلى طاقة والطاقة إلى مادة .. فهو ـ إذن ـ يعمل كمفاعل نووى صغير !

ـ ولو أن انفجارًا ذريًا حدث له .... عندئذ .... !

ـ أرجو ألا نكون تأخرنا ..

وحين سمعا صوت (روبرتسون) المنهك على الهاتف ، صاحا فيه فى نفس الوقت :

ـ اسمع !.. يجب إلغاء التوجيه (٧ ـ ١٢) حالًا .. لاكىّ ..

وشرحا للرجل المذهول ، أن معنى الانفجار الذرى هو تقديم وسط غذائى رائع لخلية (أندروميدا) .. سيتكاثر الكائن بلاحدود ..

قال (روبرتسون) :

ـ سأبلغ هذا للرئيس .. سيسره أن يعلم أنه أصاب حين أجّل التوجيه (٧ ـ ١٢) ..

ـ تستطيع أن تهنئه على بصيرته العلمية !.

ثم ان (ربروتسون) أخبرهما أن الحرس الوطنى ، فى النطاق المحيط بـ (بيدمونت) بخير ، ولم يمت أحد ، كما أخبرهما عن موضوع البوليمر المتآكل فى طائرة الفانتوم إياها .. وعن قطع العظام النظيفة التى وجدوها هناك ..

وحين انتهت المكالمة ، رأى العالمان أن الأصوب هو تعريض فأر آخر للباكتريا ، للتأكد مما إذا كانت قد تحورت أو تحولت إلى شىء آخر .. وكادا يبدآن هذا ...

لكن صوت امرأة دوى من مكبرات الصوت ينادى (ليفيت) :

ـ د . (ليفيت) لقد قمنا بدراسة رسم المخ الخاص بك .. وأعتقد أن هناك خطأ ما .. لكن ....

تساءل (ليفيت) فى قلق :

ـ ماذا هناك ؟

ـ إن رسم مخك من الدرجة الرابعة .. غير طبيعى .. نحتاج إلى واحد آخر .

فى حنق صاح (ستون) :

ـ بالتأكيد هناك خطأ ـ وأمسك بمكبر الصوت ـ سيعيد د . (ليفيت) رسم المخ حين يكون عنده ما يسمح من الوقت .

ـ أمرك يا سيدى .

وتأبط (ستون) ذراع (ليفيت) ، ليريا معًا نتائج تصوير البللورات بأشعة إكس .. وكان هذا قرارًا غير موفق .. لقد نسيا تمامًا موضوع تعريض الفأر للباكتريا ، ولو فعلا ذلك لعرفا أن أفكارهما كانت مشوهة .. وأنهما يسيران فى الطريق الخاطئ ..

★ ★ ★

٢٥ ـ النطـــاق ..

فجأة دوّى رنين جرس الإنذار .. وراح الضوء الأصفر يتألق ..

وفى الردهة راحت الإشارة تتوهج ، مبينة مكان المشكلة : (التشريح) .. وإذ هرع (هول) إلى هناك ورأى ذلك ، أيقن أن النطاق العازل تهشم بشكل ما وحدث تسرب ..

وخرجت الفنية المساعدة له ، تتساءل عما يحدث فقال لها :

ـ (بيرتون) .. حدث تسرب للعدوى .

ـ وهل هو بخير ؟.

ـ أشك فى هذا ...

ولحق بهم (ليفيت) يجرى عبر الممرات بمرونة فائقة .. حين ..

فجأة تصلب .. راح يرمق الضوء المتألق دون استجابة .. وأدرك (هول) على الفور أنه ليس على ما يرام ..



وفى اللحظة التالية هوى (ليفيت) أرضًا وشرع جسده يهتزّ فى عنف ..

كان واقفًا مفتوح العينين ذاهلًا عن كل شىء .. مرر (هول) كفه أمام عينيه فلم يبد حراكًا .. وعندئذ فهم (هول) الأمر .. لماذا كان (ليفيت) يتجنب الأضواء المتراقصة طيلة الوقت ..؟

- الوغد !.. لم يجد وقتًا أفضل !.

وقبل أن يفسر للفتاة المذعـورة شيئـًا دار حول (ليفيت) ، وأمسك به ، ثم طلب منها أن تغطى عينى الرجل حتى لايرى الضوء ..

وفى اللحظة التالية هوى (ليفيت) أرضًا .. وشرع جسده يهتزّ بعنف .. وأطبق على أسنانه وأصدر صرخة .. فقال (هول) :

- اذهبى إلى الصيدلية فأحضرى ١٠٠ مجم (فينوباربيتون) فى محقن .. سنحقنه بالديلانتين فيما بعد إذا استدعى الأمر ذلك .

كان (ليفيت) يعوى بين أسنانه كحيوان مكبل .. فما إن عادت الفنية ، حتى حقن العقار فى ذراع (ليفيت) .. ثم أمرها أن تبقى معه ، وهرع إلى غرفة التشريح ..

★ ★ ★

حاول أن يفتح الباب دون جدوى .. لقد أغلق الباب بإحكام لمنع انتشار التلوث ..

وفى غرفة التحكم الرئيسى ، وجد (ستون) ينظر إلى (بيرتون) ، عبر شاشة دائرة تليفزيونية مغلقة .. كان الذعر ظاهرًا على هذا الأخير .. يتنفس بسرعة .. شاحب اللون .. بدا بالضبط كما هو : رجل ينتظر الهلاك ، كى يطيح بعنقه بمنجله الدامى ....

قال (بيرتون) على الشاشة :

ـ أنا مذعور ! .. مذعور !

قال له (ستون) بلهجة حانية :

ـ ستكون على ما يرام .. نحن نعرف أن (أندروميدا) لا تطيق الأوكسجين ، ولهذا بدأت فى ضخ أوكسجين نقى إلى الغرفة ...

ثم نظر نحو (هول) معاتبًا :

ـ لماذا تأخرت فى المجىء ؟.. أين (ليفيت) ؟

ـ أضواؤكم تلتمع ثلاث مرات فى الثانية .. لهذا أصيب بنوبة صرعية صغرى ، ثم صارت نوبة كبرى .. انقباضات عضلية .. وتبول لا إرادى .. حقنته (بالفينوباربيتون) وجئت .

ـ (ليفيت) مصاب بالصرع ؟

قالها (ستون) وبدأ يتذكر أشياء :

ـ نعم .. لهذا كان رسم المخ غريبًا .. ولهذا كان يتجنب الأضواء المتقطعة ، التى تبدأ النوبة .. لقد كان يعرف .. كان يعرف مرضه .

ـ قل لى كيف حدث التلوث ؟

ـ كان محتمًا أن يحدث .. كل وحدات العزل يحدث بها تسرب عاجلًا أم آجلًا .. هناك الكثير من المطاط ، والكثير من كيت وكيت .. كل هذا لابد أن ينهار فى لحظة ما ..

لم ير (هول) الأمر بهذه البساطة .. وعلى كل حال لقد مرت أربع دقائق ، وما زال (بيرتون) حيًا يرزق .. هل هو الأكسجين ؟

قال (ستون) وقد فهم ما يرمى إليه (هول) :

ـ لا يوجد أكسجين يُضخ إلى الغرفة .. كنت أخدعه ليطمئن !

وهنا سمعا (بيرتون) يصيح :

ـ اسمعا !.. أريد منكما أن تجربا (الكالوسين) .

هتف (ستون) مشدوهًا :

ـ «لا .. ليس (الكالوسين) .. نحن لا نجرؤ على ذلك !».

★ ★ ★

كان (الكالوسين) واحدًا من أكثر العقارات سرية فى العقد الأخير .. ابتكرته شركة (جنسن) فى ربيع ١٩٦٥ ، وأطلقت عليه الاسم : يو ـ جى ـ ٤٤٧٥٩ ـ و ، وقد لاحظت

أنه يوقف نمو الحيوانات الصغيرة عند حد معين ..

وبالمزيد من التجارب تبين أن العقار ، يوقف تحول الخلايا إلى سرطان .. بالذات فى السرطانات التى تسببها الفيروسات ... ثم تبين أن العقار يقتل الفيروسات جميعًا ، وكذا الباكتريا والفطريات ... وكافحت الشركة بعنف كى تعمم الدواء ، لكن معارضيها - ومن بينهم (ستون) - تنبئوا بفشل هذا العقار .. إن مناعة الإنسان مبنية على تعرضه الدائم للجراثيم عبر القرون ، فلو قضينا على كل الجراثيم مرة واحدة ، لانهار الجهاز المناعى للجسم فورًا وما عاد قادرًا على مقاومة شىء ..

وأثبتت التجارب صدق رأى (ستون) .. وتم منع العقار ..

والآن يريد (بيرتون) أن يعطوه (الكالوسين) !!

التفت (ستون) نحو (هول) وقال :

- ابدأ ضخ الأكسجين .. إن المسكين مذعور حتى الموت .

قرعت العبارة جرسًا ما فى عقل (هول) : مذعور حتى الموت .. لقد أصاب (ستون) شيئًا بالغ الأهمية ..

إن حلّ القضية يكمن فى هذه العبارة ..

★ ★ ★

٢٦ - مذعور حتى الموت ..

من الصعب عليه أن يفكر بمنطقية .. لقد فقد يقينه السابق بأن الحل دان .. عقله يدور فى حلقات مجنونة ..

وقف يرمق العجوز النائم وجواره الرضيع ..

« مذعور حتى الموت » .. هذه هى الإجابة .. لنفكر بشكل علمى ..

العجوز يحسو (الستيرنو) الذى يجعل دمه حمضيًا .. والصغير ؟.. ماذا عنه ؟.. ماذا يجعل دمه حمضيًا ؟.. دائمًا يصطدم بالصغير .. فهو سليم تمامًا .. ودمه غير حمضى ..

فلنناقش الأمر بهدوء : رجل مصاب بحمضية الدم .. فكيف يتصرف ؟.. سيتعامل جسده مع الحمض عن طريق سرعة التنفس .. ولسوف تغسل الرئتان ثانى أكسيد الكربون من دمه ..

(أندروميدا) تهاجم الرئتين .. تحدث تجلط دم بهما .. ثم ينتشر وتحدث الوفاة .. الدم الحمضى - ربما - يمنع (أندروميدا) من العمل ..

لكن الرضيع ليس ذا دم حمضى .. هو يبكى طيلة الوقت .. يتنفس سريعًا .. هذا يجعل دمه قلويًا .. أى العكس تمامًا ..

كان الرضيع قد صحا من نومه ، وشرع يصرخ وقد احتقن وجهه .. مذعور حتى الموت هو ......

ثم .. لماذا عاشت الطيور ذات معدل التمثيل العضوى العالى ؟..

لماذا لم تمت ضحية لـ (أندروميدا) ؟

إن رأسه يوشك على الانفجار .. بينما (بيرتون) يموت .. يموت ..

★ ★ ★

فكر أين كان سيكون فى لحظة كهذه ؟.. بالطبع يقود سيارته عائدًا إلى داره فى (سانتامونيكا) .. السيارات تتدافع حوله بعضها سريع وبعضها بطىء ..

عليك أن تكون حذرًا .. السيارات الأسرع منك خطرة .. والأبطأ منك أشد خطرًا .. و .... لقد كنت أحمق !

★ ★ ★

فيما بعد أطلق (هول) على تشخيصه اسم (تشخيص الطريق السريع) .. والمبدأ بسيط .. بسيط وواضح تمامًا ..

وحين جلس أمام الكمبيوتر طالبًا برنامج (النمو) كان منفعلًا يقرع المفاتيح الخاطئة دومًا ..

وكان عليه تكرار كل كلمة عدة مرات ..

أخيرًا ـ على الشاشة ـ رأى ما أراد ..

« نمو خلية (أندروميدا) وعلاقته بالرقم الهيدروجينى للحمضية ـ القلوية » أن النتائج واضحة : خلية (أندروميدا) لا تنمو إلا فى نطاق ضيق جدًا من الحمضية ـ القلوية ـ لو كان الوسط حمضيًا لا تنمو .. ولو كان قلويًا لا تنمو ..

الرقم الهيدروجينى الملائم لها هو ٧,٣٩ إلى ٧,٤٣

ـ كل شىء على ما يرام !.. لقد انتهت مشاكلنا جميعًا !.

ولم يدر إلى أى حد كان مخطئًا ...

★ ★ ★

٢٧ ـ الاختبـــار ..

جرى (هول) إلى غرفة التحكم، وطلب من (ستون) أن يوقف ضخ الأوكسجين ..

كان واضحًا أن الأوكسجيـن قد بدأ يؤثـر علـى (بيرتون)، ويبطئ سرعة تنفسه وحركة صدره، أمسك (هول) مكبر الصوت :

ـ هنا (هول) يا (بيرتون) .. لقد حصلت علـى الإجابة.. إن (أندروميدا) لا تنمـو إلا فى نطـاق هيدروجينى ضيق .. أريد منك أن تتنفس بسرعة ، لتدخل فى قلوية دم تنفسية ..

ـ لكن هذا أوكسجين نقى .. لو تنفست بسرعة سأقضى نحبى ، إستدار (هول) نحو (ستون) وطلب منه زيادة أول أوكسيد الكربون هذا هو الحل الوحيد .. يجب أن يصير دم (بيرتون) قلويًا ..

كان هذا هو الجواب الوحيد بالنسبة للرضيع .. فهو دائم الصراخ ، لأنه (مذعور حتى الموت) .. لهذا صار دمه قلويًا أكثر الوقت ..

ثم شرع يبحث فى المعمل عن شىء يمكنه أن يجعل دم (بيرتون) قلويًا .. فالرجل لن يظل يتنفس بسرعة كهذه للأبد .. سينهك حتمًا ..

كان عاكفًا على البحث حين .....

حين التمعت الأضواء ، وظهرت رسالة على شاشة الكمبيوتر :

عملية تحللية فى الممر ف ـ ١١٢ ـ ٦٨٨٦

نظر (ستون) للشاشة وغمغم :

ـ شىء ما خطأ .. هذا الممر من ممرات القلب .. ويربط كل المعامل .. وهنا واصل الكمبيوتر ذكر تسع ممرات أخرى تتحلل ..

ونظر (هول) إلى (ستون) وهتف كأنما يكلم نفسه :

ـ الرضيع !.. كان هذا هو الحل .. إن الرضيع لا يبكى طيلة الوقت ، ومعنى هذا أن تفتك به (أندروميدا) متى هدأ صراخه .. لكن هذا لم يحدث ..

ـ ربما هو نوع من المناعة ....

ـ مستحيل !.. هناك احتمالان ... الاحتمال الأول: هو أن الجرثومة لم تعد هناك .. اختفت ، والاحتمال الثانى: هو أنها تحورت .

ـ أى حدثت لها طفرة ..

ـ نعم .. تحولت لطور غير معد .. ربما ـ وهذا مؤكد ـ تحولت إلى جرثومة تغتذى على المطاط ..

ـ مثل هذه الطائرة .. والممر المطاطى عندنا .

- إذن فـ (بيرتون) لا يواجه خطرًا .. إنه حىّ ليس بفضل تنفسه ، ولكن بفضل أن (أندروميدا) لم تعد قاتلة ..

وهنا ظهرت على الشاشة رسالة جديدة :

كفاءة الممر: صفر .. المستوى (٥) ملوث ومغلق

صاح (ستون) فى (هول) :

- أسرع من هنا .. اذهب للقطاع الآخر حيث نجد أجهزة تفجير يمكن أن تعطلها .. » .

لم يفهم (هول) فى البداية ما يعنيه (ستون) .. ثم تذكر .. نهضَ مسرعًا نحو القطاع الآخر ، لكن لوحًا عملاقًا من الصلب هوى من أعلى ليسد الممر أمامه ..

وسمع (ستون) يصيح دون انفعال حقيقى :

- انتهى !.. لقد حبسناها هنا !

وراح صوت ميكانيكى يتردد :

- هذه حالة طوارئ .. المستوى مغلق .. المستوى مغلق .

وبعد هنيهة دوى صوت مس (جلاديس) من (أوماها) .. صوت رخيم ناعم يقول برزانة :

- ثلاث دقائق على التفجير الذاتى النووى !

٢٨ ـ ثلاث دقائق ..

بدا صوت صفارة إنذار يتعالى .. وتوقفت كل الساعات ، وأضاءت بضوء أحمر ، مع علامة خضراء على لحظة التفجير ..

تأمل (هول) المفتاح فى يده وتساءل :

- كيف أغادر هذا المستوى ؟
- لا طريقة .. لقد أغلقت كل الطرق بإحكام .
- وماذا عن القلب؟.. إنه يتصل بكل المستويات ..
- لكنه مؤمن بوسائل دفاعية ، تطلق غاز (الليجامين) السام .. وأسلحة أوتوماتيكية تقذف (الليجامين) ..، الهدف كان منع الحيوانات الفارّة من المعمل ، من الاختباء فى القلب المركزى .

دقيقتان وخمس وأربعون ثانية على التفجير الذاتى النووى .

تلف (هول) إلى المعمل داخلًا فى بدلة بلاستيكية ، ثم استدار ومزقها بالسكين .. فصار حرًا يتنفس الهواء المعقم ـ حتمًا ـ بخلية (أندروميدا) .. وفى الطرف الآخر، كان الممر المطاطى المؤدى إلى القلب ..

كان أمله الوحيد ، ألا تكون جرعة (الليجامين) سامة للإنسان .. فمن المنطقى أن العلماء أعدوها لحيوانات لاتزن أكثر من عشرة كيلوجرامات ..

أما (أندروميدا) فهو لم يعد يخشاها ..

« دقيقتان ونصف على التفجير الذاتى النووى » .

مزق (هول) جدار الممر المطاطى بالسكين .... ثم دلف إلى الداخل .. إلى الظلام والبرد ..

رأى عامودًا من الكابلات أمامه .. وعلى الجدار رأى درجات سلم تقود إلى المستوى الرابع ..

يجب أن يصعد بسرعة ، قبل أن ينطلق الغاز ..

فما إن ارتفع بضع درجات حتى وجد دخانًا أبيض يغطى الأرضية .. إنه الغاز !.. يجب أن يكف عن التنفس .. لكنه ـ على الرغم منه ـ كان يتنفس بسرعة ، من فرط انفعال ومجهود عضلى ..

كان (ستون) يرى كل شىء حيث جلس فى غرفة التحكم ..

وعلى الشاشة رأى صورة (هول) وهو يتسلق الدرج .. وسرعان ما رأى على شاشة أخرى قاذفات (الليجامين) ، تدور ببطء حول محورها ، قاصدة التصويب على الجسم المتحرك ، الذى بدا له هشًا إلى درجة تثير الإشفاق .. صاح فى مكبر الصوت :

ـ أسرع !.. لقد أحست بك القاذفات !

وعلى الشاشة رأى جسد (هول) يتلوّن بالأشعة الحمراء .. إن الكمبيوتر يقيس حرارته بغرض التصويب ، وسرعان ما ظهر صليب تصويب على ظهر (هول) ..

(هول) الذى راح يتسلق شاعرًا بالإرهاق .. وأحس بشىء يصطدم جوار رأسه ، ثم ينفجر .. أدرك أن المقذوف أخطأ طريقه ..

وفوق رأسه رأى باب المستوى الرابع ..

فجأة !.. ألم حارق فى كتفه .. لقد نال الكمبيوتر اللعين منه .. لكنه واصل التسلق والخدر يزحف إليه ..

« دقيقتان على التفجير الذاتى النووى » ..

القذائف مستمرة من حوله .. وكلما أصابته قذيفة كتب الكمبيوتر على الشاشة (إصابة) ، ثم يعيد عرض اللقطة بالسرعة البطيئة ثلاث مرات !

وأخيرًا وصل إلى الباب وأمسك المقبض .. وفتحه ..

« تسعون ثانية على التفجير الذاتى النووى » ..

قذيفة اصطدمت بساقه .. فأحس أنها تزن أطنانًا .. أغلق الباب وراءه ومشى يترنح .. كل باب يبعد أميالًا عن الآخر ..

« ستون ثانية على التفجير الذاتى النووى » ..

مشى عبر الممر .. رأى جهاز التفجير على بعد أقدام منه ..

«خمس وأربعون ثانية على التفجير الذاتى النووى».

يا للسخرية !. استعملوا صوتًا أنثويًا مغريًا من أجل طقوس الموت هذه .. كل شيء كان نظيفًا أنيقًا كما ينبغى له أن يكون .. ها هى ذى حياته تتقرر ، بمجرد عبارات فى سيناريو تم تسجيلها منذ عامين أو أكثر ....

فيما بعد لا يذكر (هول) متى ولا كيف استطاع إخراج المفتاح ودسّه فى فتحة الجهاز .. ورأى الضوء الأخضر يتألق ..

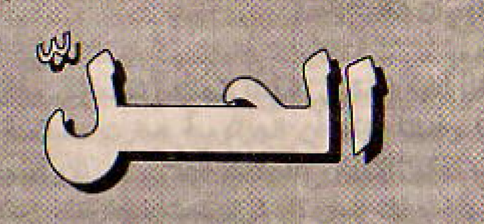
« تم إلغاء التفجير الذاتى .. » .

وعندما سمع الصوت خرّ ساقطًا وسط محيط من السواد ..

وغاب عن الوعى تمامًا ...

★ ★ ★

اليوم الخامس



٢٩ ـ اليوم الأخير ..

صوت من بعيد : ـ إنه يقاومها .. ،
ـ أحقًا ؟ ـ انظر ..

وعندئذ سعل (هول) ، بينما شيء ما ينتزع من حلقه .. وفتح عينيه .. كان راقدًا في الفراش يتنفس .. بالحق يتنفس ..

ووجد فتاة يبدو القلق على وجهها تقول له :

ـ حمدًا لله .. بعد أربعين ثانية .. كانت الزرقة قد غزت وجهك .. وقمنا بإدخال أنبوب قصبة هوائية في حلقك موصلة بجهاز تهوية .

ـ أفهم أن القنبلة لم ؟

ـ لم ..

ودخل عليه (ستون) مهنئًا بنجاته ونجاحه .. وقال :

ـ ما وصلنا يؤكد أن الجرثومة صارت مسالمة .. ولسوف تغادر الأرض عاجلًا أم آجلًا ، لأن الأوكسجين لايناسبها .. لقد صار كل شيء تحت سيطرتنا .. عندنا (أندروميدا) ونستطيع دراستها كما نشاء .. لقد فحصتها منذ دقائق ، ووجدتها قد تحورت .. هكذا نستطيع أن نفهم كل ما حدث ، اعتمادًا على قوانين الطفرات ..

ثم نظر إلى عيني (هول) وكرّر عباراته الأخيرة :

ـ نعم .. يجب أن نفهم ....

من الحديث الصحفى الذى أجرى
مع (جاك ماريوت) فى مركز
رحلات الفضاء فى (هوستون)

س : بعد احتراق سفينة الفضاء (أندروس) فى أثناء دخولها المجال الجوى، قرر الكونجرس تأجيل رحلات الفضاء إلى أجل غير مسمى .. فإلى متى يستمر هذا الوضع ؟

ج : كما قلنا ... إلى أجل غير مسمى ..

س : هل لهذا علاقة بقرار السوفييت تأجيل رحلاتهم بعد تهشم قمرهم (زوند ـ ١٩) ؟

ج : ربما كان الأصوب أن تسأل السوفييت عن ذلك ..

س : ذكر اسم د . (جريمى ستون) فى لجنة التحقيق .. ما سبب إقحام خبير ميكروبات فى الموضوع ؟

ج : إن لدينا أسبابًا تجعلنا نقدر معاونته فى مواضيع عدة ..

س : هل يؤثر هذا على مشروع الهبوط فوق المريخ ؟

ج : نحن نعتبر احتراق (أندروس ـ ٥) خطأ علميًا .. فشلًا فى تكنولوجيا النظام .. إن العلماء عاكفون على الدراسة الآن، وصدقنى أن القرار ليس فى أيدينا نحن، بل فى يد العلم ..

س : هلا كررت هذه العبارة ؟

ج : القرار ليس فى أيدينا نحن .. بل فى يد العلم .

مايكل كرشتون
١٩٦٩